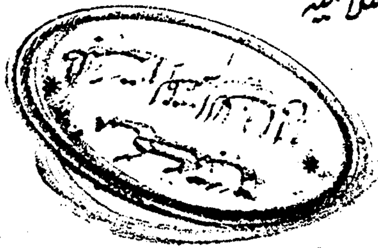


بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا
فرع الكتاب والسنة
مكة المكرمة



الصبر في ضوء الكتاب والسنة

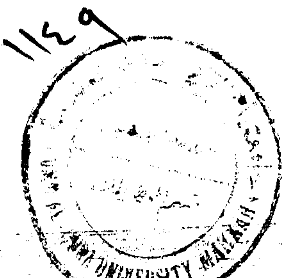
بحث مقدم

لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسنة

بإشراف الأستاذ صاحب الفضيلة الدكتور
محمد أبو شهبة

الطالبة أسماء عمر حسن فدعق

٩٨/١٣٩٩هـ - ٧٨/١٩٧٩م



بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل شكري وبالغ تقديري لكل من بذل جهده في تعليمي وكان له فضل في ارشادي وتوجيهي من مدرسات فاضلات وأساتذة كرام ، وأخص بالذكر أستاذي المشرف على هذه الرسالة فضيلة الدكتور/ محمد أبوشهبة الذي بذل جهده في ارشادي في هذه الرسالة المتواضعة جزاه الله عني خيرا .

كما أقدم عظيم شكري لكل من ساهم في انشاء قسم الدراسات العليا للطالبات والذي أرجو أن يؤدي الرسالة العلمية بأمانة واخلاص ، ويكون منهلا عذبا لرائدات العلم ، جعله الله مشعل خير وهداية ، وحفظ الله والدي العزيز الذي أرشدني وهيأ لي جو الدراسة الملائم لاظهار هذه الرسالة الصغيرة . . أنه سميع مجيب .

الباحثة

مقدمــة

الحمد لله الرءوف الصبور القدوس الشكور الودود الغفور الذى خلــق البشر ووهبهم النعم وأرسل لهم رسلا يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكـر .. رسلا منيرون لهم طريق حياتهم المستقيم ويعرفونهم دينهم القويم.. لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل .

وصلى الله تعالى على سيد الخلق والبشر الذى بلغ الامانة ونصح الامــة وجاهد فى سبيل دعوته الى الله ، وصبر على ما وجده من مشقة ايما صبر لدرجة يمكن القول عندها : انه صلى الله عليه وسلم أصبر خلق الله لحكمه واشكرهــم لنعمه .. وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد .. فالله سبحانه وتعالى حينما خلق الناس واستخلفهم فــى أرضه جعل لهم عقولا بها يتميزون عن غيرهم من سائر المخلوقات.. وبهــذه المنحة الالهية كان تكريم بنى آدم كما قال تعالى (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر) (١)

فبالعقل يستطيع المرء أن يميز الحق من الباطل ، والخير من الشــر والنافع من الضار والحسن من السىء .. والعقل السليم هو الذى ينير لصاحبه طريقه ويهديه ويرشده ويجعله يأخذ معظم الامور بالتروى والصبر ، ومن ثــم

---

(١) سورة الاسراء (٧٠)

أكثر الناس صبرا وتعقلا أكثرهم نجاحا وفلاحا .

هذا وقد كان سبب اختياري للموضوع نابعا من مشاعري وأحاسيسي بالاحتياج الكامل للصبر في جميع تعامل الناس بعضهم ببعض سواء كانت معاملاتهم دينية أو دنيوية . . هذا أولا .

وثانيا : لالقي ضوءا يسيرا على ذلك الخلق الكريم (الصبر) الذي جعله الله سبحانه وتعالى جوادا لا يكبو وصارما لا ينبو . .والذي ضمن لاهله في محكم كتابه أنه يوفيهم أجرهم بغير حساب. .والذي أكثر سبحانه من ذكره أكثر من أي خلق آخر .

ولما كان الصبر خلقا من أعظم أخلاق المؤمنين وله منزلة من أرفع منازل الصالحين . . وكان الحديث عنه يتفرع ويطول أحببت أن أبين أهم ما يتعلق به في ايجاز أرجو الله تعالى ألا يكون مخلا .

ولقد صنفت هذه الرسالة على أربعة أبواب وكل باب منها يشتمل على فصول . . وأسماء هذه الابواب هي :

الباب الاول - تمهيد في حسن الخلق - وتحته فصول هي :

١) تعريف الخلق لغة وشرعا .

٢) امهات الاخلاق ومنها العفة ويندرج تحت العفة الصبر .

٣) مظاهر حسن الخلق . . وهي كثيرة ومتعددة ومتفرعة (اقتصرت على ما سهله الله لي) .

٤) الاحاديث الدالة على فضيلة حسن الخلق .

الباب الثاني - الصبر وحقيقتـــه - وتحته الفصول التالية :

١) معنى الصبر لغة وفيها اقتصرت على المعنى المقصود الذى يخصنا .

٢) حقيقته ومعناه الشرعى .

٣) عناية القرآن الكريم والسنة المطهرة بفضيلة الصبر .

٤) أسماء الصبر بالاضافة الى متعلقه . . أى المصبور عنه .

الباب الثالث - أقسام الصـــبر وتحت فصول :

١) أقسام الصبر بحسب اختلاف قوته وضعفه .

٢) انقسامه باعتبار تعلق الاحكام الخمسة به . . أى متى يكون واجبا ومندوبا .

٣) انقسامه باعتبار محله . أى متى يكون بدنيا ومتى يكون نفسيا .

الباب الرابع - وتحته الفصول التالية :

١) أنواع الصبر - أى الواجب وهى ثلاثة : صبر على الطاعة ، وصبر عـــــن المعصية ، وصبر على البلاء .

٢) الاسباب التى تعين على الصبر وهى ليست موجودة ومنظمة تحت أسبـــاب يمكن أن نعطى الواحد منها عنوانا كما فعلت . . بل حاولت ما استطعـــت أن أكون من المتفرق وحدة وان أضعها تحت عناوين عامة بحيث تعـــطى الموضوع جدة وطرافة .

٣) الامور المضادة للصـــبر .

٤) تداخل حقيقة الصبر بحقيقة الشكر .

--

الباب الأول

الفصل الأول: تعريف الخلق لغة وشرعًا

الفصل الثاني: أمهات الأخلاق

الفصل الثالث: مظاهر حسن الخلق

الفصل الرابع: الأحاديث الدالة على فضيلة حسن الخلق

الفصل الأول

تعريف الخلوة لغة وشرعًا

((الفصل الاول))

تعريف الخلق لغة وشرعـــــــا

٥٥

الانسان مدنى بالطبع اجتماعى بالفطرة، يأنس ببنى جنسه ويأنســوا به ، ومعاملتهم لها حقوق وآداب جمة يجدر بكل انسان أن يتحلى بهـــا فالمرء قليل بنفسه كثير باخوانه ، وأعظم مؤثر فى الالفة الاجتماعية على الاطلاق حسن الخلق ، وقد حث عليه الدين كثيرا لانه موجب للتحاب والتآلــف على الاطلاق .

وجاء الاسلام دين البشريـة الصالح لكل زمان ولكل مكان فاعتبر الاخلاق من صميم الدين وليست خارجة عنه وليس أدل على ذلك من قوله تعالـى فى مدح نبيه صلى الله عليه وسلم (وانك لعلى خلق عظيم)[1] ومن قوله صلـى الله عليه وسلم " انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق "[2]

ومن ثم فنداء الوقت وواجب الساعة أن نهيئ نفوسنا تهيئة روحيـة ايمانيـة خلقية علمية وذلك للنهوض بمجتمعنا الاسلامى الى خير المستويــات مستهدفين مافيه مصلحة ديننا ودنيانا .. لذا كان لابد لنا أن نعرف نبذة موجزة عن معنى الخلق وماهيته فى اللغة وفى الشرع .

٥٥

---

(١) سورة القلم (٤)
(٢) رواه أحمد جـ ٢ ص ٣٨١

معنى الخلق لغـــة

يقول ابن منظور :

الخلق والخلق بضم وبضمتين : السجية والطبع والدين ، وتخلـــق بخلق كذا : استعمله من غير أن يكون مخلوقا فى فطرته .

وقوله تخلق مثل تجمل أى اظهر جمالا وتصنع وتحسن انما تأويله الاظهار وفلان يتخلق بغير خلقه ، أى يتكلفه .

قال سالم بن وابصة :

يا أيها المتحلى غير شيمتـــه ان التخلق يأتى دونه الخلـــق

وخالق الناس = أى عاشرهم على أخلاقهم .[1]

ويقول مجد الدين فى قاموسه :

الخلق والخلق بالضم وبضمتين : السجية والطبع والمروءة والديـن[2] ويقال ، فلان حسن الخلق ، أى حسن الصورة الظاهرة له والهيئة الخارجيـــة لتركيبه ، والحسن كما نعلم ضد القبح .

وفلان حسن الخلق : أى حسن الصورة الباطنة والهيئة الداخليته .[3]

فالخلق : للصورة الظاهرة للانسان وأوصافها ومعانيها المدركة بالبصـــر

---

(١) لسان العرب جـ ١ ص ٨٨٩

(٢) القاموس المحيط جـ ٣ ص ٢٣٦

(٣) تاج العروس جـ ٦ ص ٣٣٧

أما الخلق فهو للصورة الباطنية المركبة من روح ونفس المدركة بالبصيرة ، والثواب والعقاب انما يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة لا بأوصاف الصورة الظاهرة .

لذا تكررت الآيات والاحاديث فى مدح حسن الخلق فى غير موضع .

معنى الخلق فى الاصطلاح

الخلق : عبارة عن هيئة فى النفس راسخة ،عنها تصدر الافعال والاقوال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية .(١)

وهى قابلة بطبعها لتأثير التربية الحسنة والسيئة فيها ،فاذا ما ربيت هذه الهيئة على ايثار الفضيلة والحق وحب المعروف والرغبة فى الخير وروضت على حب الجميل وكراهية القبيح ، وأصبح ذلك طبعا لها تصدر عنه الافعال الجميلة بسهولة ودون تكلف قيل فيه : خلق حسن .

ونعتت تلك الافعال الجميلة الصادرة عنه بدون تكلف بالاخلاق الحسنة وذلك كخلق الحلم والاناة والصبر والتحمل والكرم والشجاعة والعدل والاحسان وما الى ذلك من الفضائل الخلقية والكمالات النفسية ، كما أنها اذا أهملت فلم تهذب التهذيب اللائق بها ولم يعن بتنمية عناصر الخير الكامنة فيها أو ربيت تربية سيئة حتى أصبح القبيح محبوبا لها والجميل مكروها عندها ، وصارت الرذائل والنقائص من الاقوال والافعال تصدر عنها

---

(١) احياء علوم الدين ج ٣ ص ٥٢

بدون بدون تكلف قيل فيها : خلق سيء ، وسميت تلك الاقوال والاعمال الذميمة التي تصدر عنها بالاخلاق السيئة وذلك كالخيانة والكذب والجزع والطمع والجفاء والغلظة والفحش والبذاء وما اليها .[1]

--

(١) منهاج المسلم لابي بكر جابر الجزائري ص ١٥١

الفصل الثاني

أمهات الأخلاق



((الفصل الثانى))

أمهـــات الاخلاق وأصولهـــــا

هى أربعة : الشجاعة والحكمة والعدل والعفة .

ونعني بالحكمة : حالة للنفس بها يدرك المرء الصواب من الخطأ فى جميع الافعال الاختيارية .

أما العـــدل : فهو حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملها على مقتضى الحكمة وتضبطهما فى الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها .

ونعني بالشجاعة: كون قوة الغضب منقادة للعقل فى اقدامها واحجامها .

والعفـــة: هى تأدب قوة الشهوة بتأديل العقل والشرع .

فمن اعتدال هذه الاصول الاربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها .

اذ من اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأى واصابة الظن والتفطن لدقائق الاعمال وخفايا آفات النفوس .

ومن افراطها يصدر المكر والخداع والدهاء .

ومن تفريطها يكون البله [1] والغمارة والحمق والجنون .

والغمارة : قلة التجربة في الامور مع سلامة التخيل فقد يكون الانسان غمرا في شيء دون شيء .

أما الحمق والجنون فالفرق بينهما : أن الاحمق مقصوده صحيح لكن سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له روية صحيحة في سلوكه الطريق الموصل لغرضه . والمجنون يختار مالا ينبغي اختياره فيكون أصل اختياره وايثاره فاسدا . [2]

وخلق الشجاعة : انما يصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والصبر [3] والتودد وأمثالها من الاخلاق الحميدة .

وأما افراطها فيأتي منه الصلف [4] والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب وتفريطها يصدر منه المهانة والذلة والجزع وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب .

---

(١) البله : تعطيل القوة الفكرية التي تستعمل فيما لا ينبغي وكما لا ينبغي واطراحها فهي ليست نقصان في الخلق كما يفهم منها .- تهذيب الاخلاق لابن مسكويه ص ٢٦

(٢) احياء علوم الدين جـ ٣ ص ٥٣

(٣) قال ابن مسكويه : والفرق بين هذا الصبر والصبر الذي في العفة ان يكون في الامور الهائلة وذلك يكون في الشهوات الهائجة.

(٤) الصلف : مجاوزة القدر في الظرف والبراعة والادعاء فوق ذلك تكبرا لسان العرب جـ ٣ ص ٤٦٥

وخلق العفة : يصدر منه السخاء والصبر والمساحة والحياء والورع والقناعة والظرف وقلة الطمع واللطافة .

وميل العفة الى الافراط و التفريط يحصل منه : الحرص والشره[1] والوقاحة والخبث والتبذير والتقصير والرياء والهتكة والمجانة[2] والعبث والطلق[3] والحسد والشماتة والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء[4] .

---

(١) الشره : هو الاكل فوق الحاجة ـ المنجد ص ٣٨٥ ، الانهماك فى اللذات والخروج فيها عما ينبغى : تهذيب الاخلاق ص ٢٧ ، والمراد هنا عدم الرضا بما قسم الله وحب الاستحوذا على ما عند الغير .

(٢) المجانة : ان لا يبالى ما صنع وما قيل له ، والماجن عند العرب : الذى يرتكب المقابح المروية والفضائح المخزية ولا يحضه عذل عاذل ولا تقريع من يقرعه ـ لسان العرب ج ٣ ص ٤٤٢

(٣) الطلق : الزيادة فى التودد والدعاء والتضرع فوق ما ينبغى ، ورجل طلق : يعطى بلسانه ماليس فى قلبه ـ لسان العرب ج ٣ ص ٥٢٧

(٤) احياء علوم الدين ج ٣ ص ٥٣

الفصل الثالث

مظاهر حسن الخلق

((الفصل الثالث))

مظاهر حسن الخلق

ذكرت فى تعريف الخلق أنه ملكة راسخة فى النفس تصدر عنها الاقوال والافعال من غير فكر ولا روية ، ولهذه الملكة فى النفس مظاهر فى الخارج .. منها ماهو من الاقوال ومنها ماهو من قبيل الافعال ، ومنها مايرجع السمت والهيئة التى يكون عليها الرجل ذو الخلق .. وسأذكر هذه المظاهر أو جلها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على حسب علمى .

(١) قال تعالى :[1]

(وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم)
(الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ،)
(والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان)
(غراما .[2] انها ساءت مستقرا ومقاما . والذين انفقوا لم)
(يسرفوا[3] ولم يقتروا[4] وكان بين ذلك قواما .[5] والذين)
(لا يدعون مع الله اله آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله)

---

(١) سورة الفرقان (٦٣ : ٧٤)
(٢) غراما : ملما لازما غير مفارق من عذب به من الكفار مهلكا له .
(٣) الاسراف فى النفقة : ما جاوز الحد الذى أباحه الله لعباده الى مافوقه
(٤) الاقتار : ما قصر عما أمر الله به .
(٥) القوام : النفقة بالعدل والمعروف - جامع البيان جـ ١٩ ص ٢٣ : ٢٥ ، وقال الزمخشرى فى الكشاف القوام : العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما جـ ٣ ص ١٠٠

(الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما [1] ، يضاعف)
(له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا . الا من تاب وآمن)
(وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان)
(الله غفورا رحيما . ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله)
(متابا . والذين لا يشهدون الزور [2] واذا مروا باللغو [3])
(مروا كراما . والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا)
(عليها صما وعميانا . والذين يقولون ربنا هب لنا من)
(أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما) .

فى هذه الآيات الكريمة يبين المولى عز وجل أن مشية عباد الرحمن متواضعة سهلة لا تكلف فيها ولا تصنع ولا خيلاء ولا تخلع وانما فيها الجد والسكينة والوقار والقوة . . وهم لا يلتفتون الى السفهاء والجهال واذا خاطبوهم يخاطبونهم بالسلام ليس عن ضعف وعجز وانما عن ترفع واستعلاء يعفون عنهم ويصفحون ويصبرون ولا يقولون الا خيرا .

وهم فى الليل قوم مشغولون عن النوم المريح بما هو أروح منه وأمتع عاملون بالتوجه الى ربهم . . الناس نيام وهم قائمون ساجدون ممتلئة قلوبهم بالتقوى والخوف من عذاب جهنم ـ الملازم المهلك لمن عذب به ـ هم معتدلون فى انفاقهم

---

(١) الاثام ، واد فى جهنم ـ ابن كثير جـ ٣ ص ٣٢٦

(٢) الزور : قيل هو الشرك وعبادة الاصنام وقيل الكذب والفسق والكفر والباطل وقيل هو اللغو والغناء . ويحتمل الكل ـ ابن كثير جـ ٣ ص ٣٢٨

(٣) اللغو : هو كل كلام أو فعل باطل لا حقيقة له ولا أصل أو ما يستقبح كسب الانسان بالباطل وذكر النكاح وتعظيم المشركين آلهتهم وسماع الغناء فكل ذلك يدخل فى معنى اللغو ـ جامع البيان جـ ١٩ ص ٣٢

بين الاسراف والتبذير والاقتار والتضييق وفوق هذا لا يشركون بالله ويتحرجون من قتل النفس الا بالحق ومن الزنا - الكبائر التى تستحق أليم العذاب الصحيح وعمل صالحا حيث تبدل سيئاته حسنات وكان الله غفورا رحيما - وهم لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا به كراما لا يشغلون أنفسهم بسماعه ... ومن سماتهم أنهم سريعو التذكر اذا ذكروا يتعظون ويعتبرون ويتلقون آيات ربهم بالفهم والاعتبار ويرجون أن تعقبهم ذرية تسير على نهجهم حتى تقر عيونهم وتطمئن قلوبهم .[1]

(٢) وقال تعالى :[2]

(قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون .[3] والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة[4] فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . الا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون .)

---

(١) عن ظلال القرآن - سيد قطب - جـ ٦ ص ١٨٢

(٢) سورة المؤمنون ١ : ١٠

(٣) الخشوع فى الصلاة : خشية القلب والباد البصر عن قتادة : وهو الزامه موضع السجود ومن الخشوع أن يستعمل الاداب فيتوقى كف الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتمطى والتثاؤب والتغميض وتغطية الفم والفرقعة والتشبيك وتقليب الحصا .
الكشاف ص ٢٥

(٤) الزكاة : اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذى يخرجه المزكى من النصاب الى الفقير ، والمعنى : فعل المزكى الذى هو التزكية وهو الذى اراده الله فجعل المزكين فاعلين له / الكشاف جـ ٣ ص ٢٥ ، ٢٦

وهؤلاء كتب المولى عز وجل لهم الفلاح لا تصافهم بصفات عظيمة .. صفات لها قيمتها فى ذاتها وفى حياة النوع الانسانى وهى :

١ - أن نفوسهم تستشعر رهبة الموقف فى الصلاة فتخشع ويسرى منها الخشوع الى الجوارح والحركات والملامح .. فهم لا يشهدون الا الله ولايحسون الا اياه .. ويكونون فى حالة خشوع تامة .

٢ - وهم أيضا معرضون عن اللغو بجميع أنواعه ، لغو القول ،لغو الفعل ولغو الاهتمام والشعور ،الى ذكر الله وتدبر آياته فى الانفس والافاق .

٣ - مهتمون بما فرض عليهم من زكاة فيها طهارة للقلب من الشح وثقة بما عند الله من العوض والجزاء .. زكاة فيها طهارة للمال أيضا وتجعل ما بقى منه بعدها حلالا لا يتعلق به حق لاحد الا فى حالات الضرورة .

٤ - وهم كذلك حافظو قلوبهم من التطلع الى الحرام ضابطو أنفسهم من دنس المباشرة فى غير حلال .. عالمون بالمواضع النظيفة التى يحل للواحد منهم أن يودعها بذور الحياة .. وهى الازواج وملك اليمين .

٥ - وهم راعون لاماناتهم وعهدهم أفرادا وجماعات .. راعون لكل أمانة ولكل عهد ..

٦ - وهم لا يضيعون صلاتهم ولا يقصرون فى أدائها كما ينبغى وانما يقيمونها كاملة الفرائض والسنن .. فى أوقاتها .. المحددة .. مستوفية الاركان والواجبات .

(٣) قال تعالى :[1]

(انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) .

وهذه بعض صفات المؤمنين الكاملى الايمان المخلصين فيه .. فهم اذا ذكر الله وجلت قلوبهم أى فزعت استعظاما لشأنه الجليل وتهيبا منه جل وعلا .. ولا منافاة بين هذه الاية والاية القائلة (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) فالاطمئنان لا ينافى الوجل والخوف لانه عبارة عن ثلج الفؤاد وشرح الصدر بنور المعرفة والتوحيد وهو يجامع الخوف ، ووفق بعضهم بين الايتين بأن الذكر فى احداهما ذكر رحمة وفى الاخرى ذكر عقوبة فلا منافاة .

وأخرج البيهقى وجماعة عن السدى أنه قال فى الاية : هو الرجل يريد أن يظلم أويهم بمعصية فيقال له أتق الله تعالى فيجل قلبه ، وحمل الوجل فى الاية على الخوف منه جل وعلا كلما ذكر ابلغ فى المدح من حمله على الخوف وقت الهم بمعصية أو ارادة ظلم .[2]

---

(١) سورة الانفال - ٢ : ٤

(٢) روح المعانى جـ ٩ ص ١٤٦

وهؤلاء المؤمنون الكاملوا الايمان اذا تليت عليهم آيات القرآن ازدادوا بها ايمانا - وقد استدل البخارى وغيره من الائمة بهذه الاية وأشباههـا على زيادة الايمان وتفاضله فى القلوب كما هو مذهب جمهور الامة بل قد حكى الاجماع عليه غير واحد من الائمة -[1] ويقينا وطمأنينة زيادة على توكلهم عليه جل وعلا ، فهم يفوضون أمورهم اليه وحده فلا يرجون سواه ولا يقصدون الا اياه ولا يلوذون الا بجنابه ولا يطلبون الحوائج الا منه ولا يرغبون الا اليه ويعلمون أنه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن وانه المتصرف فى الملك وحده لا شريك له ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب .

ومن صفاتهم انهم يقيمون الصلاة محافظين على أوقاتها وشروطها وأركانها وسننها .. يؤدونها على أكمل وجه وكما ينبغى أن تؤدى علاوة على أنهم ينفقون بعضا مما رزقهم الرازق .. وما رزقهم الله كثير وهم انما ينفقون ويصرفون بعضا منه سواء كان ذلك فى زكاة أو مواساة أو غيرها .

وهذه صفات جليلة انما توجد فى المؤمن الحق لذا اعقب سبحانه وتعالى بقوله (أولئك هم المؤمنون حقا) ولم يكتف جلا وعلا بمدحهم وبيان حقيقة ايمانهم وانما وضح - زاد فضله - بأن لهم كرامات ومنازل عند ربهم ومغفرة وتجاوز عن سيئاتهم ورزقا كريما .. هكذا بالتنكير للدلالة على حسن الجزاء وكثرة العطاء .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٢٨٥

(٤) وقال تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاءى ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) [1]

تبين هذه الاية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى يأمر عباده بالعدل [2] أى بالانصاف الذى لا يميل مع الهوى ولا يتأثر بود أو ببغض أو بغنى أو فقر أو بصهر أو نسب ، ومنه العدل فيما بين المرء وربه بتوحيده وعبادته واجتناب نواهيه واتباع أوامره ، كما أن من الانصاف عدل المرء فيما بينه وبين نفسه بمنعها عما فيه هلاكها ، ومنه عدله فيما بينه وبين الخلق ببذل النصيحة وترك الخيانة وعدم الاساءة الى الغير بقول أو فعل فى سر أو علانية . [3]

كما أنه جل شأنه يأمرهم بالاحسان الى جوار العدل كى يدع الباب مفتوحا لمن يريد أن يتسامح فى بعض حقه ايثارا لود القلوب وشفاء لما فى الصدور ، ولمن يريد أن ينهض بما فوق العدل الواجب عليه ليداوى جرحا أو يكسب فضلا بمعنى أن كل عمل طيب احسان ومن الاحسان ايتاءى ذى القربى أى مراعاة صلة القرابة والرحم تعظيما لامرهم وتوكيدا عليه . . بالسؤال عنهم بالانفاق عليهم بزيارتهم . . .بتقديم شئ من الهدايا لهم .

---

(١) سورة النحل آية (٩٠)

(٢) بعض التفاسير تقول : ان العدل هو الواجب والاحسان هو الندب فى العبادات خاصة لكن عموم اللفظ يجعل مفهوم العدل مطلقا عدا كون العدل والاحسان مبدئين فى الناحية الاخلاقية الكشاف جـ ٢ ص ٤٢٤ ، جـ ٢ ص ٢٩٧ النسفى .

(٣) تفسير القرطبى جـ ٥ ص ٣٣٨٢ ، أحكام القرآن لابن العربى جـ ٣ ص ١١٧٢

وهو جل وعلا ينهى عن كل قبيح من الاقوال والافعال ومنه ما خصص به وهو فاحشة الاعتداء على العرض .[1]

وينهى عن كل فعل تنكره العقول وتأباه الشريعة من معاصى ورذائل ودناءات ، ويخص البغى بالذكر وان كان داخلا تحت المنكر فيفصله عنه لشدة ضرره ولانه يعنى الكبر والظلم والحقد وان كان حقيقته العدوان ومجاوزة القدر والحد من كل شىء .

وأمر الله عز وجل بالعدل والاحسان ونهيه عن الفحشاء والمنكر والبغى . . يوافق الطبيعة البشرية الصحيحة والفطرة السليمة والاخلاق الحميدة لذا عقب سبحانه وتعالى بقوله (يعظكم لعلكم تذكرون) أى يذكركم أيها الناس لتتذكروا فتعرفوا أوامره ونواهيه وتعرفوا الحق لاهله .

والمتأمل لهذه الاية الكريمة يرى أنها كما قال فيها ابن مسعود : ان اجمع آية فى القرآن لخير أو لشر آية فى سورة النحل " ان الله يأمر بالعدل " الاية[2]

وقال فيها قتادة : ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه الا أمر الله به وليس من خلق سىء كانوا يتعايرونه بينهم الا نهى الله عنه وقدم فيه .[3]

---

(١) تفسير القرطبى جـ ٥ ص ٣٧٨٣
(٢) " الطبرى جـ ١٤ ص ١٠٩
(٣) " ابن كثير جـ ٢ ص ٥٨٢

(٥) قال تعالى :

(ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى)
(من المسلمين. ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى)
(أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم .)
(وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ)
(عظيم .) (١)

وهذه الايات متضمنة لبعض مظاهر حسن الخلق مما يجب على الداعية الى الله التحلى بها . . . ذلك أن القيام بواجب الدعوة الى الله . الدعوة الى الخير أمره عظيم وشأنه خطير يتطلب من الداعية أن تكون روحه سمحة وأن يكون حديثه صدقا وان تكون اخلاقه واسعة عالية يقول تعالى " ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله " أى ليس هناك أفضل كلاما ولا أحسن حديثا من حديث الداعى الى توحيد الله وطاعته المذكر بوجوده وربوبيته ، ليس هناك أحسن من حديث محمد صلى الله عليه وسلم وذلك كما رواه ابن جرير . قال ابن زيد فى قوله " ومن أحسن قولا " قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٢)

---

(١) سورة فصلت (٢٤ ، ٢٥)

(٢) تفسير الطبرى جـ ٢٤ ص ٧٥

وروى ابن كثير عن السيد ةعائشة ـ رضى اللهعنها ـ وعن عكرمة وابن عمر وعن مجاهد ان قوله " ومن أحسن قولا " انما نزل فى المؤذنين .[1]

ولا يمنع من اعتباره صلى الله عليه وسلم المقصود كما لا يمنع من كون المؤذنين هم المعنيون بالاية . . والذى يترجح أن تكون الاية عامة فى كل الدعاة الى الله مهما اختلفت اساليبهم ووظائفهم . . ويدخل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم دخولا أوليا ويشهد له مارواه ابن جرير عن قتادة فى قوله تعالى " ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله " قال هذا عبد صدق قوله عمله ومولجه مخرجه وسره علانيته وشاهده مغيبه وان المنافق عبد خالف قوله عمله ومولجه مخرجه وسره علانيته وشاهده مغيبه[2] . . وهذا ما رجحه سيد قطب فى تفسيره .[3]

وفى قوله تعالى " وعمل صالحا " قال ابن جرير فى روايته عن قيس بن أبى حازم أنه قال الصلاة مابين الاذان الى الاقامة .[4] . وقال عكرمه (وعمل صالحا) أى صلى وصام[5] ، ولكن قوله تعالى " وعمل صالحا " مطلق لا يعنى الصلاة فقط فكل عمل فيه طاعة للمولى عز وجل . . فيه اتباع أوامره واجتناب نواهيه فيه مرضاته ومن ثم فيه فائدة عائدة على العامل وغيره فهو عمل صالح .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ١٠١
(٢) تفسير الطبرى جـ ٢٤ ص ٧٥
(٣) تفسير فى ظلال القرآن جـ ٢٤ ص ٢٤٠
(٤) تفسير الطبرى جـ ٢٤ ص ٧٥
(٥) تفسير القرطبى جـ ٧ ص ٥٨٠٤

.. (وقال انني من المسلمين) أكد أن ا دعوته الى الله وأعماله الصالحة جميعها انما هي طاعة الله وخشوع له بالا يمان بوحدانيته وهذا القول ليس على سبيل الزهو والفخر وانما على سبيل التحدث بنعمة الله ، ومن كان هذا دافعه لم يهمه أن تستقبل دعوته بالاعراض أو بسوء الادب ذلك أنه عالم بأنه (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة) أى مهما كانت فأثرها وقيمتها لا تستوى مع السيئة كما لا يستوى العفو مع الانتصار ، وفرق عظيم أيضا بين مداراة الامر والغلظة فيه (ادفع [1] بالتي هي أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) نعم هناك فرق بين مقابلة الغضب بالغضب وبين مقابلة الغضب بالسكينة ،بين مقابلة الاساءة بالاساءة وبين مقابلتها بالعفو والصفح فرق بين تلبية رغبة النفس فى مواجهة الشر بالشر وبين كبت هذه الرغبة بمواجهة الشر بالخير .

ان القلب الكبير هو الذى يدفع بالتي هى أحسن فى جميع الحالات وان كانت لديه القدرة على الاساءة والرد ... وتلك نتيجتها حسنة حيث تدعو البادى بالعداوة الى التراجع عن عداوته وتغيير موقفه الى موقف محبتة وموالاة وقرابة من المحسن .. تجعله وليا قريبا حميما .

(وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) وهذه السجية وهى مقابلة الاساءة بالاحسان درجة عظيمة من الاخلاق لا يلقاها

---

(١) قال ابن عباس رضى الله عنه : أمره الله تعالى فى هذه الاية بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة فاذا فعل الناس ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم ، القرطبى جـ٧ ص ٥٨٠٦

كل انسان بل يلقاها أهل الحلم والصبر ويلقاها من يتفضل المولى عز وجل عليه بها ممن له نصيب وافر من السعادة فى الدنيا والاخرة .

وقد فسر قتادة الحظ العظيم بالجنة (١)

وبعد .. فهذه مواضع كريمة من آيات الله العديدة ذات المواضع الكثيرة فى القرآن الكريم والتى فيها بيان لبعض صفات حميدة هى علامات حسن الخلق الواجب توافره فى الفرد المؤمن .. ثانيا الاحاديث النبوية الداعية لحسن الخلق الاحاديث النبوية الداعية لحسن الخلق :

وهناك أحاديث جمة شريفة تشير الى صفات عظيمة هى فى الحقيقة علامات لحسن الخلق وثمراته منها :

١ - ما رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا - ويشير الى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه " . (٢)

---

(١) تفسير ابن جرير الطبرى جـ ٢٤ ص ٧٦

(٢) صحيح مسلم كتاب البر والصلة باب تحرير ظلم المسلم وخذله واحتقاره جـ ١٦ ص ١٧٠

جمع هذا الحديث خصالا من الشر نهى عنها لانها لا تتفق وخصال الخير التى دائما يحث عليها المصطفى عليه الصلاة والسلام فنهى عن بيع المسلم على أخيه المسلم وعن التدابر والهجران والمعاداة وعن تمنى زوال النعمة عن الغير وعن اغراء الناس لشراء السلع ذلك أن عباد الله فى الحقيقة اخوان سواء بسواء فلا يحل لاحد أيضا أن يظلم أحدا ولا يترك نصرة أخيه بدون عذر ولا يحتقره ويستصغره لان ذلك كله لا يفعله الا من كان قليل التقوى . فمن كانت خشية الله فى نفسه غالبة ومراقبته دائمة لا يقوم بتلك الاعمال بل يجتنبها ويعظم حرمات أخيه المسلم ولان تخلقه بذاك مصلحة لنفسه وأسرته وأمته ورفعة فى دينه .

٢ - ومنها ما رواه مسلم عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه أو قال لجاره مايحب لنفسه) . (١)

لو تأملنا هذا الحديث الشريف لوجدنا سببا قويا من الاسباب التى تعقد روابط الاخوة وتدعو الى الالفة والمحبة ألا وهو محبة المرء لاخيه المسلم من الطاعات والاشياء والمباحات مايحبه لنفسه تماما ويكفى هذا خلقا دافعا لمعاشرته غيره معاشرة الاخوة الاشقاء فى المودة والشفقة والتعاون والالفة والرفق والملاطفة .

---

(١) صحيح البخارى كتاب الايمان باب من الايمان أن يحب لاخيه مايحبه لنفسه
- انظر فتح البارى جـ ١ ص ٥٤

٣ - ومنها ما رواه الترمذى عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذىء " (١)

يبين الحديث الشريف أن الاخلاق لها مكانة عالية فى الايمان وان من لم يحسن خلقه : فينطق لسانه بالسباب واللعن ويخوض فى الاعراض ويلفظ بهجر الكلام وقبيحه فهو ناقص الايمان .. لم تملأ العقيدة نفسه ولم يتمكن الايمان من قلبه ، فالمرء انما يتم ايمانه اذا أدى ما أمر الله به ورسوله الكريم من عبادات واخلاق وحسن معاملة للناس .

٤ - وجاء فى صحيح مسلم عن النواس بن سمعان الانصارى أنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال : " البر حسن الخلق والاثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس " .(٢)

والبر هنا كلمة جامعة لكثير من الخيرات ، لكثير من الاعمال الصالحات وقد فسرها العلماء بعدة معان منها " الصلة وحسن الصحبة والعشرة واللطف والطاعة .. وهذه الكلمة ذات المعانى الجامعة لحسن الخلق هى ما يجب على المسلم الالتزام بها .. ومقابلها الاثم الذى فسره صلى الله عليه وسلم بأنه ما تردد فى النفس ولم ينشرح له الصدر وحدث فى القلب منه شك فى كونه ذنبا لذا

---

(١) الترمذى باب ما جاء فى اللعنة جـ ٣ ص ٢٣٦

(٢) صحيح مسلم كتاب البر والصلة باب تفسير البر والاثم جـ ١٦ ص ١١٠

عقب صلى الله عليه وسلم بقوله " وكرهت أن يطلع عليه الناس " ومايكرهه المرء من اطلاع الناس على أعماله انما هو ارتكابه للذنوب . . للفواحش . . للمنكرات . . والاعمال الفاسدة التي لم تطمئن نفسه في تأديتها أولم تنظر في عاقبة العمل أو كونها من الشبهات التي تؤدى الى ارتكاب المحرمات ، فالحديث الشريف مع وجازة ألفاظه وضع لنا قاعدة عظيمة دالة على كثير من الاخلاقيات المترتبة عليها أعمالا خيرة يعيها كل متأمل متدبر في الحديث .

هذه الاحاديث الشريفة التي أوردتها في الحث على التخلق بالاخلاق الحسنة ماهي الا جزء يسير مما ورد من أحاديث شريفة شتى هي أسس ثابتة تبنى عليها المجتمعات تعاملها بالاخلاق الحميدة .

ولقد ورد في أعمال السلف الصالح وأقوالهم مايدل على تخلقهم بالاخلاق الحسنة واهتمامهم بها وبثمراتها للفرد وللجماعة بعضهم يعرف لنا علامات حسن الخلق .

قال علي رضي الله عنه : حسن الخلق في ثلاث خصال اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة على العيال .[1]

وسئل سهل [2] عن حسن الخلق فقال : أدناه الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه .

---

(١) احياء علوم الدين جـ ٣ ص ٥٢

(٢) حلية الاولياء جـ ١٠ ص ١٩٠ ، الاعلام جـ ٣ ص ٢١٠

وقال يوسف بن اسباط [1] : علامة حسن الخلق عشر خصال : قلةالخلاف وحسن الانصاف وترك طلب العثـرات وتحسين مايبدو من السيئات، والتماس المعذرة ، واحتمال الاذى والرجوع بالملامة على النفس ،والتفرد بمعرفة عيـوب نفسه دون عيوب غيره ، وطلاقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن دونـه ولمن فوقه [2] .

وخلاصة ماسبق يمكن أن نلم به فنقول :

ان مظاهر حسن الخلق وتعريفه ككل بأن يكون الفرد بارا رفيقا أمينـا مؤديا للفرائض مجتنبا النواهى صالحا عفيفا حليما ليس بلعان ولا مغتاب ولا نمام ولا حقود ولا حسود بل محب للخير كثير الحياء صبور صادق طلق الوجـه موصل للرحم أعماله أكثر من أقواله ومن ثم هو يحب فى الله ويرضى فى الله ويبغض فى الله ويغضب له ، فهذه الخصال الوارد ذكرها فى الايات الكريمة والاحاديث مع بعضها تكون لنا حسن الخلق .

-٠-

---

(١) الجرح والتعديل ج ٤ ص ٢١٨

(٢) الاحياء ج ٣ ص ٦٩

الفصل الرابع

الأحاديث الدالة على فضيلة حُسن الخلق

((الفصل الرابع))

الاحاديث الدالة على فضيلة حسن الخلق

لا شك أن الخلق الحسن هو صفة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وسمة عباد الله المتقين وهو من خصال الناس المهديين الصديقين . ولقد نوه الاسلام بالخلق الحسن ودعا الى تنميته في نفوس المسلمين ، كما اثنى المولى عز وجل على نبيه عليه الصلاة والسلام لحسن خلقه فقال (وأنك لعلى خلق عظيم)[1] فهو ثناء فريد صادر من رب الوجود لرسول عقيدة طاهرة يجد المرء العنصر الاخلاقي بارزا اصيلا فيها حيث انها التي تدعو الى الصدق والبر والامانة والنظافة وموافقة النية والضمير للقول والفعل ، وحفظ العهد والعدل والنهي عن الظلم والغش والحقد وأكل أموال الناس بالباطل وغير ذلك .

وسئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن)[2] فسيرته الشخصية تقوم مثالا حيا وصورة رفيعة وصفحة نقية تستحق ثناء الخالق عز وجل . . وقال عليه الصلاة والسلام عن نفسه (انما بعثت لا تمم مكارم الاخلاق "[3] ومن ثم تأتي أحاديثه صلى الله عليه وسلم متتابعة تبين مكانة الاخلاق النبيلة في الاسلام منها

---

(١) سورة القلم (٤)

(٢) مسند احمد جـ ٦ ص ٩١

(٣) مسند احمد جـ ٢ ص ٣٨١

ما رواه الترمذى عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ان من أحبكم الى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ...)[1]

ومنها ما رواه الترمذى أيضا عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ان من أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله ".[2]

ومنها ما رواه أبو داود فى سننه عن أبى أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وان كان محقا ، وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحا وببيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه "[3] وما أعظمه من أجر لشىء فى مقدور الانسان فعله والتحلى به والمواظبة عليه . وقال الجنيد :[4] أربع ترفع العبد الى أعلى الدرجات وان قل عمله وعلمه : الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق .

وقال يحيى بن معاذ[5] : فى سعة الاخلاق كنوز الارزاق .

---

(١) رواه الترمذى باب ما جاء فى معالى الاخلاق جـ ٣ ص ٢٤٩

(٢) رواه الترمذى باب فى استكمال الايمان جـ ٤ ص ١٢٢

(٣) رواه أبو داود كتاب الادب باب فى حسن الخلق جـ ٢ ص ٥٥٣

(٤) من العلماء بالدين مولده ووفاته ببغداد ، راجع حلية الاولياء جـ ١٠ ص ٢٥٥ ، الاعلام جـ ٢ ص ١٣٧

(٥) واعظ زاهد لم يكن له نظير فى وقته توفى سنة ٢٥٨ . الاعلام جـ ٩ ص ٢١٨ ، وفيات الاعيان مجلد ٦ ص ١٦٥

وقال أنس بن مالك : ان العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة فى الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك فى جهنم وهو عابد .

وسئل ابن عباس : ما الكرم فقال هو مابين الله فى كتابه العزيز - ان أكرمكم عند الله أتقاكم - قيل فما الحسب ؟ قال : أحسنكم خلقا وأفضلكم حسبا . وقال : لكل بنيان أساس وأساس الاسلام حسن الخلق .

-.-

الباب الثاني

الصبر وحقيقته

الفصل الأول : معنى الصبر لغة

الفصل الثاني : حقيقة الصبر

الفصل الثالث : عناية القرآن الكريم بفضيلة الصبر

الفصل الرابع : أسماء الصبر بالإضافة إلى متعلقه

الفصل الأول

معنى الصبر لغة

((الفصل الاول))

معـــني الصـبر لغـــة

أصل الصـــبر : الحبس والمنع وكل من حبس شيئا فقد صبره ومنـــــه قوله تعالى " واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى "[1] .

والصبر : نقيض الجزع ومنه قوله تعالى على لسان أهل النار " ســـواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص "[2]

يقال صبر الرجل يصـــبر صبرا فهو صابر وصبار وصبير كأمير وصبـــــور والانثى صبور أيضا بغيرهاء . والجمع صبر .[3]

وورد للصـبر عدة معان أخرى غير معنى الحبس وهى :

الصبر ،الاكراه يقال صبر الحاكم فلانا على يمين صبرا أى أكرهه .

الصبر : بمعنى الثبات قال تعالى " واستعينوا بالصبر "[4] أى بالثبـات على ما أنتم عليه من الايمان .[5]

والصبر : بمعنى الجرأة قال تعالى " فما أصبرهم على النار "[6] أى أجرأهم ويقال ما أعلمهم بعمل أهل النار.[7]

---

(١) سورة الكهف (٢٨) (٢) سورة ابراهيم (٢١)
(٣) تاج العروس ج ٣ ص ٣٢٣ (٤) سورة البقرة (٤٥)
(٥) لسان العرب المجلد الثانى ص ٤٠٤ (٦) سورة البقرة (١٧٥)
(٧) التكملة والذيل والصلة ج ٣ ص ٦٣

وجاء الاصطبار : بمعنى الاقتصاص ومنه قول عثمان رضى الله عنه حينما عوتب فى ضربه لعمار هذه يدى لعمار فليصطبر .[1]

وتصبروا صطبر : أى جعل له صبرا .

—٠—

(١) القاموس المحيط جـ ٢ ص ٦٧

الفصل الثانى

حقيقة الصّبر

((الفصل الثانى))

حقيقة الصبر

وحقيقة الصبر تكمن فى بيان معناه الشرعى :

فالصبر شرعا : حبس النفس عن الجزع والتسخط وحبس اللسان عن الشكوى وحبس الجوارح عن التشويش . . (١) وهذا يصدق اذا حبس العبد نفسه مع الايمان واركانه الستة من ايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وبالقدر خيره وشره .

يقول الغزالى فى تعريفه :

الصبر هو : عبارة عن ثبات باعث الدين فى مقابلة باعث الشهوة فالصفة التى فارق الانسان بها البهائم فى قمع الشهوات وقهرها يمكن أن نسميها باعثا دينيا ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعث الهوى ، وليفهم أن القتال قائم بين باعث الدين وباعث الهوى والحرب بينهما سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد ، ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله تعالى ، ومدد باعث الهوى من الشياطين الناصرين لاعداء الله تعالى . . فان ثبت باعث الدين حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين ، وان تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر فى دفعها التحق باتباع الشياطين . (٢)

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم جـ ٢ ص ١٥٦

(٢) احياء علوم الدين للغزالى جـ ٤ ص ٦٢

هذا ويزيد الصبر شرفا ان من أسماء الله تعالى الصبور تبارك وتقدس وهو الذى لا يعاجل العصاة بالانتقام وهو من أبنية المبالغة ، ومعناه قريب من معنى الحليم والفرق بينهما أن المذنب لا يأمن العقوبة فى صفة الصبور كما يأمنها فى صفة الحليم .[١]

سئل الجنيد عن الصبر ؟ فقال تجرع المرارة من غير تعبس[٢] . بمعنى الصبر على المصيبة فقط .

وقال ذ والنون المصرى : الصبر : التباعد من المخالفات والسكون عند تجرع غصص البلية واظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة .[٣]

وهذا تعريف غير شامل حيث أنه تضمن قسمين من أقسام الصبر .

وقال عمرو بن عثمان :

هو الثبات مع الله وتلقى بلائه بالرحب والدعة[٤] . ويمكن أن يكون تعريفه هذا شاملا لأقسام الصبر اذا اعتبرنا أن الثبات مع الله يعنى الصبر على طاعته والصبر على معصيته .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : الصبر مطية لا تكبو[٥] . فكأن الصبر مطية العبد التى يسير عليها فى الطريق الحق دون تعثر مادام متمكنا من زمامها

---

(١) لسان العرب المجلد الثانى ص ٤٠٣

(٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) مدارج السالكين جـ ٢ ص ١٥٧-١٥٨

محسنا توجيهها .

مما سبق نرى أن الاقوال اختلفت في تعريف الصبر وبيان ماهيته لان دائرته واسعة ومجالاته متعددة ، ويمكن أن نخرج منها بتعريف قد يقارب الصواب - وان كان تعريف الغزالي أصوب - وهو :

ان الصبر خلق فاضل من الاخلاق الاسلامية الواجب التحلي به يقدم به المرء على فعل الجميل ويمتنع به من فعل مالا يحسن ولا يليق به كمسلم وغرضه من ذلك ابتغاء مرضاة الله ، قال تعالى (والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم)(1) .

---

(١) سورة الرعد (٢٢)

الفصل الثالث

عناية القرآن الكريم بفضيلة الصبر

((الفصل الثالث))

عناية القرآن الكريم بفضيلة الصبر

نلاحظ أن القرآن الكريم عنى عناية بالغة بالصبر لما له من قيمة كبيرة دينية وخلقية بل هو ضرورة دينية ودنيوية لازمة للانسان كى يعيش بسلام فدينه لا ينتصر ودنياه لا تستقيم الا بالصبر . . كما أنه أكثر خلق تكرر ذكره فى القرآن العظيم .

كتب العلامة ابن القيم نقلا عن الامام أحمد قوله : الصبر فى القرآن فى نحو تسعين موضعا .(١) وذكر صاحب قوت القلوب عن بعض العلماء قوله : وأى شىء أفضل من الصبر وقد ذكره الله تعالى فى كتابه فى نيف وتسعين موضعا ولا نعلم شيئا ذكره الله تعالى هذا العدد الا الصبر .(٢)

ويقول الامام الغزالى : ذكر الله تعالى الصبر فى القرآن فى نيف وسبعين موضعا (٣) ونجد فى المعجم المفهرس لالفاظ القرآن مادة (صبر) بكل مشتقاتها قد وردت فى القرآن مائة مرة وبضع مرات .(٤)

---

(١) مدارج السالكين جـ ٢ ص ١٥٢

(٢) قوت القلوب جـ ١ ص ١٩٧

(٣) احياء علوم الدين جـ ٤ ص ٦٠

(٤) المعجم المفهرس لالفاظ القرآن ص ٣٩٩ : ٤٠١

ويمكن الجمع بين هذه الاقوال بعبارة واحدة : ان كلمة صبر يمكن أن تأتى فى موضع واحد مكررة فيحسبها البعض موضعا واحدا ويحسبها البعض اثنين أو أكثر كما جاء فى أواخر سورة النحل " وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ، واصبروما صبرك الا بالله " اذن فحاجة البشر الى فضيلة الصبر شديدة .

واذا كان الطالب والزارع والمقاتل والعامل ومحبو المجد وطلاب المعالى عرفوا أن الرفعة فى الدنيا كالفوز فى الاخرة لا تنال الا بركوب الصعاب واجتياز المشقات والصبر عن كثير مما يحب وعلى كثير مما يكره فالمؤمنون أولى بتلك المعرفة ذلك أنهم أشد تعرضا للمحن والاذى فى أنفسهم وأموالهم وكل نفيس لديهم . . أولى بأن يتخلقوا بخلق كريم ذكره المولى عز وجل فى مواضع شتى ترغيبا فيه وحثا عليه فهو جل وعلا :

(١) قال " بلى أن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين "[1] . . فذكر هنا أن الصبر شقيق النصر وضمن لاهله المدد والفوز .

(٢) وقال " وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا[2] وكانوا بآياتنا يوقنون " وبين هنا أنه يورث صاحب الصبر درجة الامامة .

---

(١) سورة آل عمران (١٢٥)

(٢) سورة السجدة (٢٤)

(٣) وقال " والله يحب الصابرين "[1] فأخبر جل وعلا عن محبته لاهل الصبر وفي ذلك أعظم ترغيب للراغبين .

(٤) وقال جل شأنه " ان الله مع الصابرين "[2] مخبرا أنه معهم وهذه المعية معية معنوية ، تشمل هدايتهم ونصرهم وتأييدهم وحفظهم .

(٥) أوجب جل وعلا للصابرين الجزاء الحسن على أعمالهم بل سيعطيهم أجرهم مرتين بل سيوفى الصابرين أجرهم بغير حساب .

يقول تعالى في الاية السادسة والتسعين من سورة النحل " ماعندكم ينفذ وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون " كما يقول جل شأنه " أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرأون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون "[3] وكما قال تعالى في الاية العاشرة من سورة الزمر : " انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب " فما من حسنة من الحسنات ولا قربة من القربات الا وأجرها بتقدير وحساب الا الصبر ولاجل كون الصوم من الصبر وأنه نصف الصبر جاء في الحديث القدسي (الصيام لي وأنا أجزى به)[4] فاضافة

---

(١) آل عمران (١٤٦)
(٢) الانفال (٤٦)
(٣) سورة القصص (٥٤)
(٤) صحيح البخاري كتاب الصوم باب فضل الصوم وانظر فتح الباري جـ٤ ص ٩١ ، صحيح مسلم كتاب الصوم باب فضل الصيام جـ ٨ ص ٣١

الى نفسه من بين سائر العبادات .[١]

(٦) أوضح المولى عز وجلا ما أعده للصابرين يوم القيامة من أجر عظيم لا يعلمه الا الله ومن استحقاق دخول الجنة ومن تكريم بتسليم الملائكة عليهم - حيث قال جل وعلا " ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما "[٢]

كما قال تعالى " وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا "[٣] " أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما "[٤]

كما قال جلا وعلا " والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار " .[٥]

وفى ذلك ترغيب فى الصبر وحث عليه فالتوفيق فى الدنيا والفلاح فى الاخرة والفوز بالجنة والنجاة من النار وكل خير يحرص الفرد أو الجماعة على حصوله منوط بهذه الفضيلة العظيمة (الصبر) .

---

(١) احياء علوم الدين جـ ٤ ص ٦٠ مطبعة البابى الحلبى بمصر .
(٢) الاحزاب (٣٥)
(٣) سورة الانسان (١٢)
(٤) الفرقان (٧٥)
(٥) الرعد (٢٤)

وكما عنى القرآن الكريم بالصبر هذه العناية الفائقة عنيت السنة النبوية بهذه الفضيلة أيضا وقد ورد في الصبر وأقسامه والاثابة عليه في الدنيا والاخرة أحاديث كثيرة لا تحصيها واليك بعضا من هذه الاحاديث :

١) جاء في صحيح مسلم عن عمر بن كثير بن أفلح قال سمعت ابن سفينة يحدث أنه سمع أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا أجره الله في مصيبته وأخلف له خيرا منها قالت فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخلف الله لي خيرا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم .(١)

فهذا الحديث الشريف فيه بيان فضل هذا القول (ان لله وانا اليه راجعون " وفيه الدعاء بطلب الصبر والتعويض خيرا ، فالمرء متى ما صبر على مصيبته وذكر الله ودعاه أعطاه الله جزاء صبره خيرا وعوضه عن همه فرجا . . وهذه أم سلمة رضي الله عنها حينما صبرت على مصابها بوفاة زوجها رزقها المولى عز وجل خيرا منه وأفضل رسوله صلى الله عليه وسلم .

٢) وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب بن سنان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عجبا لامر المؤمن ان أمره كله خير وليس ذاك لاحد الا للمؤمن ان أصابته سراء شكر فكان خيرا له وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له (٢)

---

(١) صحيح مسلم كتاب الجنائز باب ما يقال عند المصيبة جـ ١٦ ص ٢٢٠ ، مسند أحمد جـ ٤ ص ٢٧

(٢) صحيح مسلم جـ ١٨ ص ١٢٥ في باب احاديث متفرقة ، مسند أحمد جـ ١ ص ١٧٣

وفي مسند أحمد في رواية سعد بن أبي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (عجبت للمؤمن اذا أصابه خير حمد الله وشكر وأن أصابته مصيبة حمد الله وصبر فالمؤمن يؤجر في كل أمره حتى يؤجر في اللقمة يرفعها الى في امرأته) ويؤخذ من هذين الحديثين أن المؤمن الصادق في ايمانه بالله واليوم الاخر مأجور على جميع أعماله الخيرة فاذا قدر له الخير والسعادة قدر له العيش الهنيء فعرف حق نفسه فيه وحق غيره عليه وحمد الله وشكره أثابه الكريم العظيم على شكره وعدم جحوده نعمته . . واذا قدر له التقتير في الرزق والتنغيص في العيش . . قدرت له المصائب والعظائم فحمد الله واسترجعه وصبر على ما قدر له كان في ذلك أيضا خير له حيث ينال ثواب صبره وايمانه بالقدر خيره وشره حتى أنه ليؤجر في اللقمة التي يسعى لجلبها لزوجته وأسرته . . .

٣) وروى البخاري عن عطاء بن يزيد الليثي أن أبا سعيد أخبره أن ناسا من الانصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسأله أحد منهم الا أعطاه حتى نفد ما عنده فقال لهم حين نفد كل شيء أنفق بيديه : مايكون عندي من خير لا أدخره عنكم وانه من يستعفف يعفه الله ومن يتصبر يصبره الله ومن يستغن يغنه الله ولن تعطوا عطاء خيرا وأوسع من الصبر .(١)

في هذا الحديث الشريف حث على القناعة والاستغناء عن الناس والتعفف عن سؤالهم بالصبر والتوكل على الله وطلب رزقه هو وفيه بيان بأن الصبر أفضل ما يعطاه الانسان من خير لكون الجزاء عليه غير محدود فهؤلاء الجماعة

---

(١) صحيح البخاري - كتاب الرقاق باب الصبر عن محارم الله ، وانظر فتح الباري جـ ١١ ص ٢٦٠

من الانصار أتوا اليه صلى الله عليه وسلم ليسألوه فأعطاهم ثم سألوه مرة أخرى فأعطاهم حتى نفد ما عنده - كما فى رواية مسلم - وعند ذلك قال لهم: مايكون عندى من خير فلن أحجبه عنكم لغيركم ولكن هناك قاعدة عظيمة ينبغى الالتفات اليها الا وهى أن من يستعفف عن سؤال الناس ويستغنى عنهم ويحاول أن يصبر نفسه ويقنعها بما كسبت وحصلت فالله معينه فى ذلك . وأفضل من ذلك كله الصبر فهو خير عطاء وأوسع عطاء يعطاه الانسان من مولاه .

٤) وجاء فى صحيح البخارى عن أبى سعيد الخدرى وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (مايصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه)[1].

يبين صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث الشريف جزاء الصبر على الشدائد ويحث على تقبل الابتلاء بها واحتمالها . . والجزاء هنا تكفير الخطايا والذنوب وهو ثواب عظيم لا يناله كل من أصيب بتعب أو ارهاق أو مرض مزمن أو حالات نفسية أو جسدية هكذا دون صبر أو معاناة أو رضا بالقدر فالصبر اذن ضرورة - خاصة - للمؤمنين تحقيقا لقوله تعالى (ألم . أحسب الناس ان يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)[2] الذين صدقوا أى فى ايمانهم بالله . .

---

(١) صحيح البخارى كتاب المرضى - باب ما جاء فى كفارة المرض ، وانظر فتح البارى جـ ١٠ ص ١٠٩ وفيه نصب : هو التعب ، وصب : أى مرض وقيل هو المرض اللازم الهم والحزن هما من أمراض الباطن لذا ساغ عطفهما على الوصب ، الاذى : قيل هو ما يلحق الشخص من تعدى غيره عليه ، الغم هو أيضا من أمراض الباطن وهو ما يضيق على القلب .

(٢) سورة العنكبوت (١ : ٣)

وايمانهم بالقدر خيره وشره لذا قال عليه الصلاة والسلام : حتى الشوكة يشاكها فسواء دخلت في جسد الانسان بنفسها أو أدخلها أحد فصبر على ما يجده من ألمها ، وسواء كان المقصود بها شوكة حقيقية مادية أو معنوية من اساءة رئيس أو غيره فصبر على ما سببته له من أذى الا كفّر الله بها خطاياه ..
وأى منا لا يحب أن تكفّر خطاياه ؟ ..

-.-

الفصل الرابع

أسماء الصبر بالإضافة إلى متعلقه

((الفصل الرابع))

أسماء الصبر بالاضافة الى متعلقه

ooo

اختلف أسماء الصبر بالاضافة الى متعلقه [1] وأصبحت عديدة متنوعة
يقول الغزالى :

ان كان صبرا على احتمال المكروه اختلفت أساميه عند الناس باختلاف المكروه الذى غلب عليه الصبر :

١ - فان كان فى مصيبة اقتصر على اسم (الصبر) وتضادة حالة تسمى (الجزع والهلع) وهو اطلاق داعى الهوى ليسترسل فى رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرها مما نهى عنه المصطفى صلى الله عليه وسلم " ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب " [2].

٢ - وان كان فى احتمال الغنى سمى (ضبط نفس) وتضاده حالة تسمى (البطر) وهى عدم القيام بموجبات النعمة بأن يكفر بها ولا يشكر وضبط النفس ترشد اليها الاية الكريمة " ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا " [3].

---

(١) أى المصبور عنه .
(٢) صحيح البخارى كتاب الجنائز باب ليس منا من شق الجيوب وانظر فتح الباري جـ ٣ ص ١٣١
(٣) سورة الاسراء (٢٩)

٣ - وان كان فى حرب ومقاتلة سمى (شجاعة) ويضاده (الجبن) الذى هو الاحجام حيث ينبغى الاقدام .

٤ - وان كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمى (عفة) [١] ، وفرق ابن القيم بينهما فقال : ان كان صبرا عن شهوة الفرج المحرمة سمى (عفة) وضدها (الفجور والزنا) الذى بينت سببه امرأة العزيز قال تعالى (قالت امرأة العزيز الان حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين . ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وان الله لا يهدى كيد الخائنين . وما أبرىء نفسى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى ان ربى غفور رحيم) [٢] . والذى نهى عنه القرآن الكريم (ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا) [٣] .

٥ - وان كان صبرا عن شهوة البطن وعدم التسرع الى الطعام أو تناول مالا يجمل منه سمى (شرف نفس وشبع نفس) وسمى ضده (شرها ودناءة ووضاعة نفس) [٤] . لذا روى الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله " ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطن بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه " [٥] .

---

(١) احياء علوم الدين للغزالى جـ ٤ ص ٦٥
(٢) سورة يوسف (٥١ : ٥٣)
(٣) سورة الاسراء (٣٢)
(٤) عدة الصابرين ص ١١
(٥) رواه الترمذى باب ما جاء فى كراهية كثرة الاكل جـ ٤ ص ١٨

وتفرقة ابن القيم أفضل من حيث وضع لها أضداد وان كان تعريف الغزالي أجمل .

وقال ابن القيم أيضا :

وان كان صبرا عن اظهار مالا يحسن اظهاره من الكلام سمي (كتمان سر) وضده (اذاعة وافشاء أو تهمة أو فحشاء أو سبا أو كذبا أو قذفا) وغير ذلك مما حذر منه المصطفى صلى الله عليه وسلم (اياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار)[1] (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء)[2]

وان كان صبرا عن اجابة داعي الانتقام سمي (عفوا وصفحا) وضده (انتقاما وعقوبة) . . وذلك العفو والصفح حث عليه الاسلام وذكر جزاءه في كثير من الايات الكريمة منها : قوله تعالى :

(وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين)[3] وقوله تعالى (وسارعوا الى مغفرة من ربكم و جنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين . الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) .[4]

---

(١) البخاري كتاب الادب باب قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) وانظر فتح الباري ص ٤٢٣ جـ ١٠
(٢) الترمذي باب ما جاء في اللعن جـ ٣ ص ٢٣٦
(٣) سورة الشورى (٤٠)
(٤) سورة آل عمران (١٣٣ ، ١٣٤)

٦ - وان كان صبرا عن اجابة داعي العجلة سمي (وقارا وثباتا) وضده (طيشا وخفة) .

٧ - وان كان عن اجابة داعي الامساك والبخل سمي (جودا) وضده (بخلا وشحا) [1] يقول صلى الله عليه وسلم (خصلتان لا تجتمعان في مؤمن : البخل ، وسوء الخلق) [2]

٨ - وقال الغزالي في بيانه لاسماء الصبر : وان كان صبرا عن فضول العيش سمي (زهدا) ويضاده (الحرص) .

٩ - وان كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ سمي (قناعة) يؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس) [3] نعم ان الغنى ليس بكثرة المال ولا كثرة المتاع ولكن الغنى الحقيقي هو غنى النفس عما في أيدي الناس . هو رضاها بما قسم الله لها من رزق وقناعتها بذلك . . هو عدم حرصها على المال واعراضها عن سؤال الناس . أي حاجة مهما كانت وبذلك تكون نفسا عظيمة عزيزة مدركة أن وراء الغنى أو الفقر حكمة عظيمة . . وصدق الله العظيم اذ يقول (أيحسبون أن ما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) [4] ويضاد القناعة (الشره) .

---

(١) عدة الصابرين لابن القيم ص ١١
(٢) الترمذي جـ ٣ ص ٢٣١ وجاء في الجامع الصغير انه صحيح جـ ٢ ص ٤٠٠
(٣) البخاري كتاب الرقاق باب الغنى غنى النفس وانظر فتح الباري جـ ١١ ص ٢٣١
(٤) سورة المؤمنون (٥٥)

ثم قال : فاذن هذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ومن يأخذ المعانى من الاسامى يظن ان هذه الاحوال مختلفة فى ذواتها وحقائقها من حيث رأى الاسامى مختلفة والذى يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله يلحظ المعانى أولا فيطلع على حقائقها ثم يلاحظ الاسامى فانها وضعت دالة على المعانى فالمعانى هى الاصول والالفاظ هى التوابع ومن يطلب الاصول من التوابع لابد أن يزل .(١)

وهذا قول نفيس وتحقيق جليل يدلنا على ارتباط كثير من مقامات الدين بالصبر فالصبر هنا يحمل فى طياته مجموعة من شعب الايمان الحميد وأخلاق الاسلام الفاضلة .

--.--

(١) احياء علوم الدين للغزالى جـ ٤ ص ٦٥ ، ٦٦

الباب الثالث

أقسام الصبر

الفصل الأول :- أقسام الصبر بحسب اختلاف قوته وضعفه

الفصل الثاني :- أقسام الصبر باعتبار تعلق الأحكام الخمسة به

الفصل الثالث :- أقسام الصبر باعتبار محله

الفصل الأول

أقسام الصبر بحسب اختلاف قوته وضعفه

- الحالة الأولى
- الحالة الثانية
- الحالة الثالثة

((الفصل الاول))

أقسام الصبر بحسب اختلاف قوته وضعفه

نعلم أن فى نفس المرء دافعين : دافعا يدفعه نحو الخير ودافعا يدفعه نحو الشر .. دافعا ينحو به جهة الحق والاخر يأخذه للباطل .. باعثا يجعله عادلا وباعث يصيره ظالما ،باعث فى نفسه يحركه لاتباع تعاليم دينه ،وباعثا يثيره لاتباع أهوائه وشهواته ..

وهذان الباعثان لهما ثلاثة أحوال كما يقول الغزالى :

الحالة الاولى

أن ينتصر باعث الدين على داعى الهوى بحيث لا تبقى لداعى الهوى قوة للمنازعة وتكون الغلبة والفوز لداعى الدين . وهذا يحصل بدوام الصبر .. ولا يصل الى هذه المرتبة الا الذين كتب الله لهم النصر فى الحياة الدنيا وفى الاخرة ، الذين لازموا الطريق المستقيم .. وهم القليل من الناس فلا ريب أن يكونوا الصديقين المقربين الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا [1] والذين تناديهم الملائكة عند الموت (ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الاخرة) [2]

---

(١) احياء علوم الدين جـ ٤ ص ٦٦

(٢) سورة فصلت : (٣٠)

الحالة الثانية

أن تكون القوة والغلبة لداعى الهوى حيث يسقط داعى الدين ويستسلم لاغواء الشياطين .. وأصحاب هذه الحالة هم الغافلون وهم الاكثرون الذين أصبحوا عبيد شهواتهم وغلبت عليهم شقوتهم وتمكنت الشياطين من قلوبهم التى هى سر من أسرار الله فاشتروا لذلك الحياة الدنيا بالاخرة[1]، ويبين ابن القيم أن اصحاب هذه الحال أنواع شتى ،فمنهم المحارب لله ورسوله ،الساعى فى ابطال ما جاء به الرسول يصد عن سبيل الله ويبغيها جهده عوجا وتحريفا ليصد الناس عنها .

ومنهم المعرض عما جاء به الرسول المقبل على دنياه وشهواتها فقط. ومنهم المنافق ذو الوجهين ، الذى يأكل بالكفر والاسلام ، ومنهم الماجن المتلاعب الذى قطع أنفاسه بالمجون واللهو واللعب .ومنهم من اذا وعظ قال واشوقاه الى التوبة ولكنها قد تعذرت على فلا مطمع لى فيها .

ومنهم من يقول : ليس الله محتاجا الى صلاتى وصيامى وأنا لا أنجو بعملى والله غفور رحيم .

ومنهم من يقول ترك المعاصى استهانة بعفو الله ومغفرته .

ومنهم من يقول : ماذا تقع طاعتى فى جنب ما قد عملت . وما ينفع الغريق خلاص اصبعه وباقى بدنه غريق .[2] يقول ذلك متناسيا قوله جل وعلا

(١) احياء علوم الدين جـ ٤ ص ٦٦

(٢) عدة الصابرين ص ١٦

(قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) (1) . الى غير ذلك من أصناف المفترين الذين تسلطت شهواتهم على عقولهم . . . فكأن الواحد منهم جعل عقله مع الشيطان دائما وأبدا يفعل به ما يشاء كالاسير المسلم فى يد كافر يستعمله فى رعاية الخنازير وعصر الخمر وحمل الصليب . . وهم انما صاروا الى ما صاروا اليه نتيجة افلاسهم من الصبر .

الحالة الثالثة

أن تكون الغلبة والقوة تارة لداعى الدين وتارة لداعى الهوى فهى متأرجحة بينهما فاذا ضعف داعى الهوى كان النصر والغلبة لداعى الدين والعكس بالعكس . . واصحاب هذه الحالة طائفة ضعفت غريزتهم الدينية فلم تسوء وظيفتها كاملة . . وهى حال اكثر المؤمنين الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم .

وذكر الغزالى أن قوله تعالى (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا . . .) (2) نزل على من عجز عن بعض الشهوات دون بعض — وهذا مافسر به ابن كثير الاية — (3) وقال أيضا : والتاركون للمجاهدة مع

---

(١) سورة الزمر (٥٣)

(٢) سورة التوبة (١٠٢)

(٣) ابن كثير ج ٢ ص ٣٨٥ قال : هذه الاية وان كانت نزلت فى أناس معينين الا انها عامة فى كل المذنبين الخطائين المتلوثين .

الشهوات مطلقا يشبهون بالانعام بل هم أضل سبيلا اذا البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التى بها تجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق ذلك له وعطله فهو الناقص حقا المدبر يقينا ولذلك قيل :

ولم أر فى عيوب الناس عيبا ... كنقص القادرين على التمام (١)

فكأنه يحثعلى مجاهدة الشهوات ويغرس فى النفوس حب الاعمال الصالحة بقدر الامكان عسى الله أن يعفو عما سلف .

وهذه الاحوال الثلاث هى أحوال الناس فى الصحة والمرض فمن الناس من تقاوم صحته الداء فتقهره ومنهم من تتهاوى صحته وتضعف قوته أمام المرض ويكون للمرض عليه سلطان ومنهم من تتناوبه الصحة والمرض .

وربما كان هذا التقسيم للصبر موازيا للحال يوم القيامة سواء بسواء فمن الناس من يدخل الجنة ولا يدخل النار ومنهم من يدخل النار ثم يدخل الجنة والله أعلم .

---

(١) احياء علوم الدين للغزالى جـ ٤ ص ٦٧

الفصل الثاني

أقسام الصبر باعتبار تعلقه بالأحكام الخمسة

- الصبر الواجب
- الصبر المندوب
- الصبر المباح
- الصبر المكروه
- الصبر المحظور

((الفصل الثانى))

أقسام الصبر باعتبار تعلق الاحكام الخمسة به

ذكر الامام ابن القيم فى المدارج أن الصبر واجب باجماع الائمة[1] وهنا صحيح فى الجملة لكنه بالتفصيل وبتعلق الاحكام الخمسة به ينقسم الى صبر واجب ومندوب ومباح ومكروه ومحظور :

الصبر الواجب

وهو ثلاثة أنواع :

= صبر على الطاعة واداء الواجبات .

= صبر عن المعصية وعن المحرمات .

= صبر على النوازل والمصائب المقدرات .

وسيأتى فصل يتناول هذه الانواع بالتفصيل ان شاء الله .

الصبر المندوب

وهو ثلاثة أنواع أيضا صبر على مقابلة الاساءة بمثلها وصبر على المستحبات وصبر عن المكروهات .

---

(١) مدارج السالكين جـ ٢ ص ١٥٢

ومثال الصبر على مقابلة السيئة بمثلها قوله تعالى (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) [1]

وأيضا قوله تعالى (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم . ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور) [2] .. فالنفس الانسانية لا تحب أن تهضم حقوقها أو أن تظلم خاصة وان التشريع الربانى أباح لها الانتصار فى الظلم وأجاز لها مقابلة السيئة بالسيئة والعقاب بالعقاب بشرط دون زيادة أو ظلم سواء فى الكم أو الكيف فلا يحق للمرء أن يرد الصاع صاعين أو اللطمة لطمتين بل المطلوب من المسلم والاجدر فعله أن يكظم غيظه ويصبر على الاذى ويستر السيئة ويعفو عن صاحبها ليكون أجره على الله ولينال الثواب الجزيل والثناء الجميل على أفعاله الحميدة كما ذكر ذلك ابن كثير فى تفسيره [3] .

ومثال الصبر على المستحبات: أن ينوى المرء قيام الليل واحياءه فى صلاة ودعاء وذكر وتسبيح وتهليل فقد يجد صعوبة فى بداية الامر نتيجة هجره لذيذ المنام وحلاوة الاحلام فعليه أن يصبر ويتحمل ذلك حتى يألف القيام ويتعوده . . وقد يتعود المسلم القيام ولكنه ما يلبث أن يوسوس له الشيطان

---

(١) سورة النحل آية ١٢٦

(٢) سورة الشورى آية ٤٢

(٣) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ١١٩

ويحثه على الترك ويحبب له النوم فعليه هنا أن يجاهده ويدفع باعث الهوى عنه بشتى الطرق كي يثبت على ما نواه من طاعة وصبره هنا مندوب مستحب يثاب عليه لانه ما طلب فعله شرعا من غير ذم على تركه مطلقا .

ومثاله أيضا الصبر على ما يجده المرء فيما نوى صيامه تطوعا كصوم يومي الاثنين والخميس وصوم يوم عاشوراء المرغب في صيامه حيث جاء في النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل)(١) . . والصيام كما نعلم عبادة من أفضل القربات لله شرعه الله ليهذب النفوس وليعودها على فعل الخيرات . . فاذا فعله المرء تطوعا ورغبة في استزادة الثواب وفي تلمس التقوى فعليه أن يتحمل ويصبر على ما يلاقيه من مشقة أو تعب أو تثبيط عزم عن اكمال صيامه وان كان الشرع قد خيره بين الفعل والترك ففي تركه اباحة وفي فعله واكمال صومه استحباب وثواب .

ومثال الصبر على المكروهات : الصبر عن أكل الثوم والبصل عند الذهاب الى المساجد لمن تعود أكلهما واستطابهما ففي صحيح مسلم عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من أكل من هذه البقلة الثوم - وقال مرة - من أكل البصل والثوم والكرات فلا يقربن مسجدنا فان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم)(٢)

---

(١) النسائي كتاب قيام الليل باب فضل صلاة الليل جـ ٣ ص ٢٠٦

(٢) مسلم جـ ٥ ص ٥٠ كتاب المساجد باب نهى آكل البصل عن دخول المسجد .

فنهيه صلى الله عليه وسلم هنا عن دخول كل مسجد - وهو مذهب العلماء والجمهور - وليس عن أكل الثوم والبصل فهذه البقول حلال باجماع من يعتد به وحجة الجمهور فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى أحاديث أخرى (يا أيها الناس انه ليس لى تحريم ما أحل الله لى ولكنها شجرة أكره ريحها)[1] وقوله لمن قرب له طعاما فيه من تلك البقول الشىء الكثير (كل فانى أناجى من لا تناجى)[2] وغير ذلك من الاحاديث . . وعليه يكون نهى آكل البصل والثوم عن دخول المساجد مكروها ، فاذا ما صبر المرء عنهما مع رغبة فيهما امتثالا لنهيه صلى الله عليه وسلم اعتبر صبره ذاك مندوبا .

الصبر المباح

وهو الصبر عن كل فعل مستوى الطرفين خير بين فعله وتركه . والصبر عليه . . ومن أمثلته الرغبة فى القيام بنزهة أو الصبر عنها أو الرغبة فى تناول نوع معين من الاطعمة أو الصبر عنها فالنفس دائمة الشهوة وتحب أن تطاع وتلبى رغباتها - بشرط ألا يقصد بها تحريم ما أحل الله والا كان آثما - فمثلا لا مانع من التفكير فى تناول تفاحة فاذا ما تناولها المرء أو صرف النظر عن تناولها فالامر سيان ، فكأن الصبر المباح نوع من الالتزام يحاول به المرء أن يروض نفسه ويسوسها على أساس عدم تلبية حاجاتها جميعا وباستمرار .

(٢،١) صحيح مسلم كتاب المساجد باب نهى آكل البصل عن دخول المسجد ص ٥٠٠ ، ٥١ حـ٥

الصبر المكروه

وله عدة أمثلة توضحه أحدها :

أن يصبر عن التوسع فى الطعام والشراب واللباس ومعاشرة أهله حتى يتضرر بذلك بدنه . وهذا عكس ما ذكره المولى عز وجل فى قوله تعالى (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة)[1]

الثانى :

صبره عن معاشرة زوجته اذا احتاجت الى ذلك ولم يتضرر به لان فى ذلك الحاق الضرر بالزوجة ولانه يمتنع عن حق من حقوقها الزوجية بينما الاسلام يحثه على مراعاتها واحسان عشرتها وكرم مخالطتها واعطائها حقوقها كاملة . .

يقول تعالى (وعاشروهن بالمعروف)[2] وذلك ليستقيم نظام الاسرة ويصلح أمره ويدوم الارتباط الزوجى المقدس .

الثالث :

صبرعلى المكروه كرؤيته للمفرقع اصابعه فى الصلاة وسكوته عنه وعدم نهيه

---

(١) البقرة (١٩٥) ذكر ابن كثير انها نزلت فى النفقة وهى تقتضى ماسبق ج ١ ص ٢٢٨

(٢) النساء (١٩)

عن ذلك مع علمه يكون فرقعة الاصابع من مكروهات الصلاة[1] لقوله صلى الله عليه وسلم (لا تفقع أصابعك في الصلاة)[2]

الرابع :

صبره عن فعل المستحب كأن يتعود المرء اعطاء أحد المحتاجين شيئا بسيطا من المال او غيره كل أسبوع أو كل شهر .. وفجأة يقطع عنه ذلك بدون عذر أو ضرورة ملحة فانقطاعه عن عطائه ذاك مكروها ، أو كأن يكون مداوما على تأدية صلاة الضحى وفجأة ينقطع عنها فلا يؤديها بدون مبرر أو عذر متغافلا عن قوله صلى الله عليه وسلم أحب الاعمال الى الله تعالى أدومها وان قل .[3]

الصبر المحظور

ويقول فيه ابن القيم : وأما الصبر المحظور فانواع : أحدها الصبر عن الطعام والشراب حتى يموت بمعنى أن يمسك عن الطعام والشراب نفسه حتى تهلك سواء كان الحصول عليه متيسرا أو يحتاج الى بذل قليل من المجهود .

وكذلك الصبر عن الميتة والدم ولحم الخنزير عند المخمصة حرام اذا خاف بتركه الموت[4] .. فهذه المحرمات انما أباحها المولى عز وجل عند الاحتياج

---

(١) الروض المربع ص ٦٨
(٢) ابن ماجة كتاب الصلاة باب ما يكره في الصلاة حـ١ ص ٣١٠
(٣) مسلم كتاب المسافرين باب فضيلة العمل الدائم جـ ٦ ص ٧٢
(٤) عدة الصابرين ص ٢٢

والاضطرار اليها . . والاضطرار لا يخلو أن يكون باكراه من ظالم أو يجوع في مخمصة والذي عليه الجمهور من الفقهاء والعلماء في معنى الاية هو من يصيره العدم والغرث وهو الجوع الى ذلك وهو الصحيح[١] . فاذا ما صبر عن أكل الميتة عند المخمصة مع خوفه الشديد على نفسه من الهلاك اعتبر صبره ذاك محرما . وروى ابن كثير عن مسروق انه قال من اضطر فلم يأكل ولم يشرب ثم مات دخل النار[٢] .

ومن الصبر المحظور صبر الانسان على ما يقصد هلاكه من سبع أو حيات أو حريق أو ماء أو كافر يريد قتله[٣] وعدم محاولته النجاة وابعاد الاذى عن نفسه

وكتب صاحب قوت القلوب هذه العبارات " ان الصبر فرض وفضل يعرف ذلك بمعرفة الاحكام فما كان أمرا أو ايجابا فالصبر عليه أو عنه فرض وما كان حقا وندبا فالصبر عليه أو عنه فضل[٤] ولكن الامام الغزالي فصل ذلك فقال :

اعلم أن الصبر ينقسم - باعتبار حكمه - الى فرض ونفل ومكروه ومحرم فالصبر عن المحظورات فرض وعلى المكاره نفل والصبر على الاذى المحظور محظور كمن تقع يده أو يد ولده وهو يصبر عليه ساكتا وكمن يقصد حريمه بشهوة محظورة فتهيج غيرته فيصير عن اظهار الغيرة ويسكت على ما يجرى على أهله فهذا الصبر محرم . والصبر المكروه هو الصبر على أذى يناله بجهة مكروهة في الشرع . فليكن

---

(١) القرطبي جـ ١ ص ٢٠٣

(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٠٦

(٣) عدة الصابرين ص ٢٢

(٤) قوت القلوب جـ ١ ص ١٩٩

الشرع محك الصبر . فكون الصبر نصف الايمان لا ينبغى أن يخيل اليك أن جميعه محمود ، بل المراد به أنواع من الصبر مخصوصة.(١)

ويقول ابن القيم :

وبالجملة فالصبر على الواجب واجب وعن الواجب حرام ، والصبر عن الحرام واجب وعليه حرام ، والصبر على المستحب مستحب وعنه مكروه ، والصبر عن المكروه مستحب وعليه مكروه والصبر عن المباح مباح والله أعلم .

---

(١) احياء علوم الدين جـ ٤ ص ٦٧
(٢) عدة الصابرين ص ٢٣

الفصل الثالث

أقسام الصبر باعتبار محله

- البدني الاختياري
- البدني الاضطراري
- النفساني الاختياري
- النفساني الاضطراري

((الفصل الثالث))

أقســـام الصبر باعتبـــار محلــــه

الصبر ضربان : ضرب بدني ، وضرب نفساني .
وكل منهما نوعان اختياري ، واضطراري . . فهذه أربعة أقسام : (1)

الاول - البدني الاختيـــاري

كتعاطي الاعمال الشاقة على البدن اختيارا وارادة فمن اختار عمـــلا اداريا ليس كمن اختار مهنة صعبة كالحدادة والنجارة والبناء . . فالاجير العامل مثلا يجد من المشقات مالا يجده أي موظف اداري من حمل للاثقال وتعـــرض لحرارة الشمس ، وخطر يعرض حياته للهلاك بالاضافة الى قلة دخله اذا مـــا قورن براتب الموظف ، ورغم ذلك نراه يمارس عمله بصبر اختياري ويقدر جهـــده البدني .

الثاني - البدني الاضطـــراري

كالصبر على ألم الضرب والمرض والجراحات والبرد والحر وغيرذلـــك . . مما كان يتحمله كثير من المسلمين - في صدر الاسلام - ويجدون آلامه صاغرين . . فبلال مثلا كان يطرح على ظهره في بطحاء مكة الملتهبة اذا حميت الظهيرة واشتد

---

(١) عدة الصابرين لابن القيم ص ١٣
(٢) قصة بلال مؤذن الرسول لعبد الحميد جودة السحار ص ٢٩

حرارة الشمس ومن ثم يؤمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره وهو لا يزيد على قوله : أحد .. أحد .[1]

وعمار بن ياسر الذى تفنن المشركون فى ايذائه وضربه وتعذيبه من كى بالنار الى صلبه على الرمضاء الحارة الى اغراقه بالماء حتى تختنق انفاسه وتتسلخ قروحه وجروحه . ومع ذلك كان صابرا ومضطرا لاستحمال ذلك التعذيب الجسدى فى سبيل ثباته على عقيدته وايمانه . ولان السلطان والقوة والغلبة كانت يومئذ لانصار الضلال والشرك .

وتلك المرأة التى كانت تصرع[2] زمن النبى صلى الله عليه وسلم فعن عطاء بن أبى رباح قال قال لى ابن عباس : " ألا أريك امرأة من أهل الجنة قلت: بلى ، قال : هذه المرأة السوداء أتت النبى صلى الله عليه وسلم قالت: انى اصرع وانى أتكشف[2] فادع الله لى قال : ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت دعوت الله أن يعافيك فقالت أصبر فقالت أنى أتكشف فادع الله لى أن لا أتكشف فدعا لها " .[3]

---

(١) المصدر السابق

(٢) الصرع : علة تمنع الاعضاء النفيسة من أفعالها منعا غير تام وسببه سدة تعرض فى بعض بطون الدماغ وفى مجارى الاعصاب المحركة للاعضاء من خلط غليظ أو لزج كثير فتمتنع الروح عن السلوك فيها سلوكا طبيعيا فتتشنج الاعضاء .
القاموس المحيط ج ٣ ص ٤٩

(٣) صحيح البخارى كتاب المرضى باب فضل من يصرع من الريح ، وانظر فتح البارى ج ١٠ ص ٩٩ ، ومسند احمد ج ١٠ ص ٣٤٧

ولا يخفى أن المرء - بصفة عامة - قد يتعرض لمرض مزمن - والعياذ بالله - أو ما ينتج عن حوادث الحريق أو الهدم أو اصطدام السيارات كفقد عضو من أعضائه أو حدوث كسر فيها أو اصابته بتشويه خلقي . . . فاذا تحلى ذلك الشخص بالصبر على مايجده من آلام جسد يقاسيه سينال به درجة عالية من الثواب المعد للصابرين باذن الله .

الثالث - النفساني الاختياري

كصبر النفس عن فعل مالا يحسن فعله شرعا ولا عقلا كالتفكير في سرقة ما وهبه الله لبعض الناس أو ما جمعه الغير وتحصل عليه بكد وتعب وصرف النظر عن ذلك . . فمن الناحية العقلية الانسانية تعتبر السرقة عملا فظيعا لما فيه من اقتطاع مافي حوزة الغير من متاع أو مال أو غيره بغير حق ، ومن الناحية الشرعية تعتبر السرقة من الجرائم التي تستحق اقامة الحد بقطع اليد اذا تحققت السرقة بتعريفها الشرعي . . ويقاس على ذلك التفكير في شرب الخمر والتفكير في الزنا والعدول عنه وحبس النفس عن تحقيقه . . . وغير ذلك مما تأمر به النفس الامارة بالسوء من أمور لا يرضاها الشرع ولا يستسيغها العقل .

الرابع - النفساني الاضطراري

كصبر النفس عن محبوبها قهرا اذا حيل بينها وبينه بالموت مثلا الذي هو حق على كل انسان ، أو بثبوت جميع الادلة ضد شخص برىء يؤخذ

فيحبس ويحال بينه وبين والدته مثلا والذى هو بالنسبة لها جميع أهلها وذويها عدا كونه العائل لها الراعى لشئونها ، أو باسلام المرء الذى يترك أمه وزوجته وأولاده وأمواله ويصبر على فراقهم كما حدث لصهيب بن سنان حينما أراد الهجرة مع الرسول صلى الله عليه وسلم فأخره عنه وقوعه فى بعض فخاخ المشركين ولما تخلص منها وانطلق يريد اللحاق به أدركته طائفة من رجال قريش واعترضت طريقه فدلهم على المكان الذى خبأ فيه جميع ثروته فتركوه وشأنه .

أجل . . لقد اشترى صهيب نفسه المؤمنة بكل ثروته التى أنفق كل شبابه فى جمعها . . واستطاع أن يصبر عن محبوب الانسان بصفة عامة الا وهو المال .

وما المال ؟ وما الذهب ؟ وما الدنيا كلها ؟ اذا بقى له ايمانه واذا بقيت لضميره سيادته ولمصيره ارادته ؟ .(١)

وكما حدث لنوح عليه السلام حيث صبر على فراق ابنه الذى هلك بالغرق مع الكافرين حينما عاتبه المولى عز وجل (قال : يانوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ماليس لك بعلم انى أعظك أن تكون من الجاهلين) .(٢) وما كان من نوح عليه السلام الا أن ندم على ماصدر منه من جزع على فراق ابنه واعترف بذنبه .(٣)

---

(١) رجال حول الرسول ـ خالد محمد خالد ص ١٦٧

(٢) سورة هود آية (٤٦)

(٣) مع الانبياء ـ لعفيف طبارة ص ٧١

(قال : رب انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين)[1]

وذكر ابن القيم أن هذه الاقسام من الصبر مختصة بنوع الانسان دون البهائم ومشاركة للبهائم فى نوعين منها وهما صبر البدن والنفس الاضطراريين وقد يكون بعضها أقوى صبرا من الانسان ، وانما يتميز الانسان عنها بالنوعين الاختياريين ، وكثير من الناس تكون قوة صبره فى النوع الذى يشارك فيه البهائم لا فى النوع الذى يخص الانسان فيعد صابرا وليس من الصابرين ..

وذكر ابن القيم مشاركة الجن للانس فى هذا الصبر وقال هذا من لوازم التكليف وهو مظنة الامر والنهى ، والجن مكلفون بالصبر على الاوامر والصبر عن النواهى كما كلفنا نحن بذلك[2] ويؤيده قوله تعالى (وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا)[3] فقد جاء فى تفسير هذه الاية قولان : أحدهما وان لو استقام القاسطون على طريقة الاسلام وعدلوا اليها واستمروا عليها - والاستمرار يعنى الصبر عليها والاقتناع بها - لاوسعنا عليهم فى الرزق . وهذا الذى رجحه ابن كثير[4] ويوافقنا فى هذا الموضع .

---

(١) سورة هود آية (٤٧)
(٢) عدة الصابرين ص ١٤
(٣) سورة الجن آية (١٦)
(٤) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٣١

وكانت لابن القيم وجهة نظر مقبولة بالنسبة لصبر الملائكة حيث قال ج الملائكة لم يبتلوا بهوى يحارب عقولهم ومعارفهم بل العبادة والطاعة لهم كالنفس لنا فلا يتصور فى حقهم الصبر الذى حقيقته : ثبات باعث الدين والعقل فى مقابلة باعث الشهوة والهوى ، وان كان لهم صبر يليق بهم وهو ثباتهم واقامتهم على ما خلقوا له من غير منازعة هوى أو شهوة أو طبع .(١)

وعقب بقوله : فالانسان منا اذا غلب صبره باعث الهوى والشهوة التحق بالملائكة وان غلب باعث الهوى والشهوة صبره التحق بالشياطين وان غلب باعث طبعه من الاكل والشرب والجماع صبره التحق بالبهائم.

--•--

---

(١) عدة الصابرين ص ١٤

الباب الرابع

أنواع الصبر

الفصل الأول: أنواع الصبر

الفصل الثاني: الأسباب التي تعين على الصبر

الفصل الثالث: الأمور المضادة للصبر

الفصل الرابع: تداخل حقيقة الصبر بحقيقة الشكر

الفصل الأول

أنواع الصبر

- الصبر على الطاعات وأداء الواجبات
- الصبر على المعاصي
- الصبر على المصائب والبليات

((الفصل الاول))

أنـــــواع الصـــــبر

سبق فى أقسام الصـــبر باعتبار تعلق الاحكام الخمسة به أن الصـــبر الواجب ثلاثة أنواع هى :

١ - صبر على الطاعات وأداء الواجبات.
٢ - صبر عن المعاصى والمحرمـــــا ت.
٣ - صبر على المصا ئب والبليــــا ت.

٥ ٥ ٥

النوع الاول - الصبر على الطاعـــا ت

نعلم أن الايمان صلة بين الانسان وبين المولى عز وجل واذا كانت صلــــة الاخوة والصداقة البشرية لا تعد ولا يذكر شأنها الا اذا أكدتها الايام وكشفت عن حقيقتها الحوادث المختلفة فكذلك الايمان فلكى تثبت رجته فى نفس العبـــــد ويظهر صدقه لابد لصلته من ابتلاء - بأوامر ونواه واقدار - يكشف عن حقيقة تلـــك الصلة ، ومن ثم فالانسان لابد أن يدرك تمام الادراك ان الغاية التى خلق لها الخلق وثبت بها أمر الدين هى : معرفة الله وافراده بالعبودية والمحبـــة والطاعة والانابة اليه والتوكل عليه واخلاص العمل له والرضا به واتباع أوامره جميعها

والانتهاء عما نهى عنه .

ونحن اذا أمعنا النظر في أركان الاسلام اللازمة وجدنا أننا نحتاج في القيام بها والمداومة عليها الى تحمل ومعاناة وصبر . . فالصلاة : مثلا كما نعلم عماد الدين وانها الصلة المباشرة بين الانسان الفاني والقوة الباقية الخالدة ، وانها العبادة التي لها منزلة في الاسلام لا تعدلها في منزلتها أية عبادة أخرى . . ولانها العبادة المتكررة الغير المرتبطة بوقت معين من العام قرنت بالصبر - وان كان الصبر مطلوبا في العبادات الاخرى - في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين)(١) فالمولى عز وجل يعلم الجهد الضخم الذي تتطلبه الاستقامة على الطريق الصحيح . . لذا وجه الامة الاسلامية الى الاستعانة بالصبر والصلاة على تكاليف النور العظيم الملقى على عاتقها والذي أوله معرفة الله وتوحيده وطاعته . . ذلك الذي يحتاج أول ما يحتاج الى الصبر . . اذ لابد من الصبر على الطاعات ككل وخاصة الصلاة تنويها بشأنها ، وجاء في معنى الاية : عليكم أن تصلوا صابرين على تكاليف الصلاة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعاة الاداب والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع . . واستحضار العلم بأنه انتصب بين يدي جبار السموات والارض ليسأل فك الرقاب عن سخطه وعذابه .(٢)

فيا أيها الذين آمنوا بالله وبرسله واستعدوا لطاعته ولتلقي أوامره

---

(١) سورة البقرة (١٥٣)
(٢) الكشاف جـ ١ ص ٢٧٧

عليكم أن تستعينوا بالصبر . . ذاك الزاد الذى لابد منه لمواجهة جميع المشاق خاصة تلك التى يجدها فى عبادته لربه وبالاخص فى تأدية الصلاة[١]
ومتى ما امتثلتم الامر بالاستعانة بالصبر والصلاة فهناك قاعدة ثابتة يجب أن تعلموها تلك هى (ان الله مع الصابرين) معهم يؤيدهم ويثبتهم ويقويهم ويؤنسهم ولا يدعهم يقطعون الطريق وحدهم ولا يتركهم لطاقتهم المحدودة . . وقوتهم الضعيفة . . انما يمدهم حين ينفذ زادهم ويجدد عزيمتهم حين تطول بهم الطريق لاسيما طريق الطاعة .[٢]

ويقول جل شأنه (واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين)[٣] (وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ،واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين)[٤]

فالاستعانة بالصبر تتكرر كثيرا لانه زاد لابد منه فى أمور كثيرة واقترانه بالصلاة فى غير موضع فيه حث على تأديتها على أكمل وجه بقدر المستطاع ، أما الاستعانة بالصلاة فلأن فيها تلاوة كتاب الله الداعية آياته الى رفض الدنيا وهجر نعيمها ،المسلية النفوس عن زينتها وغرورها المذكرة الاخرة وما أعد

---

(١) ابن كثير جـ ١ ص ٨٧
(٢) ظلال القرآن جـ ١ ص ١٩٨
(٣) سورة البقرة (٤٥)
(٤) سورة هود (١١٥)

الله فيها لا هلها ففى الاعتبار بها المعونة لا هل طاعة الله على الجد فيها والصلاة لانها ذلك الينبوع الدافق الذى يستمد منه المؤمن راحة نفسه ويوثق الصلة بينه وبين ربه . ولانها أحب الاعمال الى الله وأفضلها - كما بين المصطفى صلى الله عليه وسلم حينما سئل عن أحب الاعمال الى الله قال الصلاة على وقتها "[1] - يراها الخاشعون - الخاضعون لطاعة الله الخائفون سطواته المصدقون بوعده ووعيده - كبيرة وشديدة وثقيلة ويعرفون منزلتها من الاسلام لتكرار الامر بتأديتها واعداد الثواب العظيم لها اذا كانت جماعة و (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين)[2] وطلب المحافظة عليها والصبر على ما يجده المسلم فى سبيل فعلها . . ويقول تعالى (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى)[3] أى اقبل أنت مع أهلك على عبادة الله الصلاة واستنقذهم من عذاب الله بالصلاة والصبر عليها وملازمتها . .[4]

واقامة الصلاة كاملة ومحاولة تحقيق آثارها والحكمة منها من كونها تبعد عن الرذائل وتطهر المرء من سوء القول والعمل . . من كونها تنهى عن الفحشاء والمنكر . . كل ذلك يحتاج الى اصطبار على مايجده من مشقة فى اقامتها فى أوقات معينة أو على مايجده من مشقة فى أمره أهله بتأديتها أو فيما يشعر به من ضيق أوتعب أوحرج فى انتظار صلاة الجماعة مثلا فقد يكون مريضا أو مشغولا بأمر مهم أو ما شابه ذلك لكنه يحاول بقدر الامكان أن يتغلب على

---

(١) رواه مسلم كتاب الايمان باب افضل الاعمال جـ ٢ ص ٧٤ ، الترمذى جـ ٣ ص ٢٠٦
(٢) سورة البقرة (٤٣)
(٣) سورة طه (١٣٢)
(٤) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ١٧١

شعوره ذاك ويصبر كي ينال محو الذنوب وتكفير الخطايا ورفع الدرجات كما قال صلى الله عليه وسلم (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يارسول الله قال اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط) .(١)

وبتأملنا لقوله تعالى (واصطبر عليها) نجد أن الصيغة هنا صيغة افتعال من الصبر مكان الصيغة المعتادة (اصبر) وصيغة الافتعال انما تدل على المبالغة فى الفعل ونحن نعلم أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى .. وهو جل وعلا ماقال (واصطبر) الا وهو يعلم أن الطريق الى طاعة الله مليئ بمشاغل دنيوية سواء من داخل النفس أو من خارجها لذا عقب سبحانه وتعالى (لا نسألك رزقا) أى لا نسألك مالا بل نكلفك عملا ببدنك نؤتيك عليه أجرا عظيما وثوابا جزيلا ، (نحن نرزقك) فنعطيك المال ونكسبك ولا نسألكه والعاقبة الصالحة من عمل كل عامل لاهل التقوى والخشية من الله دون من لا يخاف له عقابا ولا يرجو له ثوابا .(٢)

وامتثل صلى الله عليه وسلم أمر ربه فكان بعد نزول هذه الاية يذهب كل صباح الى بيت (فاطمة وعلى) رضى الله عنهما فيقول (الصلاة) كما كان عليه الصلاة والسلام اذا نزل بأهله ضيق أمرهم بالصلاة(٣) ومن ثم فالصبر لا يرتبط

---

(١) رواه مسلم - كتاب الطهارة باب فضل اسباغ الوضوء على المكاره جـ٣ص١٤١

(٢) تفسير ابن جرير الطبرى جـ ١٦ ص ١٧٠

(٣) القرطبى جـ ٥ ص ٤٣٠٣

بتأدية الصلاة فقط بل يلتصق أيضا بطريق غير مباشر بالزكاة وبالصدقة والجود والكرم . والاسلام حبب الى معتنقيه أن تكون نفوسهم كريمة وأكفهم سخية وحثهم على المسارعة الى الاحسان ووجوه الخير واثنى على المنفقين فى سبيل الله (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)(١)

وبين الاسلام أيضا أن التعاون والمواساة لابد منها ليواسى الغنى الفقير ويمين القوى الضعيف ووضح أن المولى عز وجل جعل اختلاط الناس ببعضهم البعض رغم اختلاف أحوالهم . . جعله امتحانا يختبر به الايمان ويعطى به الثواب (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا)(٢)

فعلى المسلم أن يقتصد فى تلبية حاجات نفسه وأن يخصص جزءا من ماله يساعد به المحتاجين أو يسعف به المكروبين وأن يتقى الشح ويرتفع عن حبه للمال وحرصه على اقتنائه ويحاول بشتى الطرق أن يصبر عن اجابة دافع البخل فى نفسه حتى يعود ها الكرم والجود كى يكون من المفلحين (فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)(١)

---

(١) سورة البقرة (٢٧٤)
(٢) سورة الفرقان (٢٠)
(٣) التغابن (١٦)

والانسان كما نعلم مجبول على حب المال لكنه لا بد وأن يمتثل الامر الامر باعطاء الزكاة طائعا (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)[1] فلابد من أن تطهر النفوس من درن البخل والطمع والدناءة والقسوة على الفقراء وعلى البائسين كما ينبغى أن نزكيها أى نرفع من درجاتها بعمل الخيرات والاكثار من الصدقات على مختلف اصنافها من زكاة أو هبة أو نفقة فهى لها شأنها فى حياة الانسان أو بعد مماته يقول صلى الله عليه وسلم (ثلاث أقسم عليهن واحدثكم حديثا فاحفظوه : ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها الا زاده الله عزا)[2]

فقد يظن البعض أن الصدقات تنقص المال وتقرب الانسان من الفقر فيعيش فى قلق رغم وجود الشىء الكثير من المال وهذا الظن انما هو من وساوس الشيطان التى يلقيها فى نفوس ضعاف الايمان ولكن (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم)[3]

ومن ثم فالاسلام يوصى بأن يكرم المرء نفسه ثم أهل بيته ثم ذوى رحمه ثم سائر الناس يقول صلى الله عليه وسلم (دينار أنفقته فى سبيل الله ودينار أنفقته فى رقبة ودينار تصدقت به على أهلك أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك)[4]

---

(١) سورة التوبة (١٠٣)
(٢) رواه الترمذى باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر جـ ٣ ص ٣٨٥
(٣) سورة البقرة (٢٦٨)
(٤) مسند أحمد جـ ٢ ص ٤٧٣ - ٤٧٦

كما يقول صلى الله عليه وسلم (ان المسلم اذا انفق على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة) [(١)] .

ويقول بعض العلماء : والاسلام بهذا الارشاد الدقيق يريد أن يرتب النفقات المشروعة الترتيب المثمر الصالح فان الاسرة قوام المجتمع الكبير والخلية الحية التى تكون بناء الضخم فتوجيه العناية اليها أجدى على الامة كلها من حرمانها وتحويل حقوقها عنها . . ثم أن فى هذا الارشاد زجرا لطائفة من الناس يجنحون الى السرف خارج بيوتهم وبين أصدقائهم أو الغرباء عنهم فاذا ادخلوا الى أهلهم كانوا أمثلة سيئة للتقتير والعسف [(٢)] .

فينبغى للمسلم تدبر كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ليدرك ما للزكاة . . وللعطاء والجود . . والصبر على ذلك كله من أثر فى الغفران وفى تكفير الذنوب وفى نيل رحمة الله وكرمه وبالتالى يجود بماله عن طيب نفس ورضا امتثالا لطاعة الله وادراكا وفهما لما للزكاة من مكانة فى الاسلام حيث أنها قرنت بالصلاة - التى هى عماد الدين - وتكرر ذكرهما أكثر بكثير من غيرهما من العبادات من صوم أو حج أو غيره .

وبالنسبة للصوم فعلاقته بالصبر علاقة وطيدة حيث أنه يعود الصبر ويعلم ضبط النفس ويوجد فيها ملكة التقوى ويربيها ومن ثم كان حكم الصوم تربية

---

(١) رواه مسلم كتاب الزكاة باب فضل النفقة على الاقربين والزوج والاولاد جـ ٧ ص ٨٨

(٢) خلق المسلم محمد الغزالى ص ١٢٩

ملكة التقوى فى النفس .. يقول تعالى (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)[(١)]

أى لعلكم تتقون الله بالمحافظة على تلك العبادة وتعظيمها لاصالتها وقدمها أو لعلكم تتقون المعاصى[(٢)] .. ويصان المجتمع من الشرور والمفاسد .. أكد ذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم لمن لا يستطيع أن يعف نفسه بالزواج (فعليه بالصوم فانه له وجاء)[(٣)]

والصيام كما يعود الصبر والاناة يعود النظام والاتحاد حيث الامة الاسلامية فى جميع بلدان العالم تمسك عن المفطرات من طلوع الفجر الى غروب الشمس وتفطر فى وقت واحد من غروب الشمس الى طلوع الفجر (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر)[(٤)] . وبذلك يعرف أن الغنى والفقير والقوى والضعيف والعظيم والحقير .. سواء لا يفضل أحدهم على الاخر الا بالتقوى .. ومن ثم فضبط النفس وحصرها لتصبر كى تؤدى عبادة عظيمة كالصوم - يدخل تحتها تعويد النظام وحب المساواة وتكوين عاطفة الرحمة والشفقة والاحسان الى الغير - لهو شىء كبير يثاب عليه المسلم ثوابا عظيما لا يدرك كنهه أو عظمته أو مقداره (كل عمل ابن آدم له الا الصيام فأنه لى وأنا أجزى به)[(٥)] (من صام رمضان وقامه ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه

---

(١) سورة البقرة ١٨٣

(٢) الكشاف جـ ١ ص ٣٣٤

(٣) رواه البخارى كتاب الصوم باب الصوم لمن خاف على نفسه العزبة، وانظر فتح البارى جـ ٤ ص ١٠١

(٤) سورة البقرة ١٨٧

(٥) رواه مسلم كتاب الصوم فضل الصيام جـ ٨ ص ٣١

ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)[١] وفي هذا أكبر حافز للصبر على تأدية هذا الركن العظيم .

والحج الذى هو أحد اركان الاسلام الخمسة فرضه المولى عز وجل على كل مسلم ومسلمة استطاع اليه سبيلا (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا)[٢] هذا الفرض الذى فيه قصد مكة المكرمة حيث المسجد الحرام لاداء مناسك الحج يتطلب صبرا وجهدا وتحملا من حيث مفارقته أهله وسكنه وحرفته ووطنه ومن حيث شاق السفر التى يجدها الحاج القاطن خارج مكة .. فوسائل المواصلات وان تطورت الى الاحسن والاسرع والاريح الا أن المرء ما يزال يجد فى الوصول اليها مشقة من انتظار ممل - فى المطار أو الميناء قد يدوم سبع ساعات أو أكثر - أو مراجعة متعبة للحجز مما يسبب للمرء ضيقا أو تعبا أو ما شابه ذلك وصدق المولى عز وجل اذ يقول (وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس)[٣] .

وباعتبار الوقوف بعرفة ركن مهم أساسى فى الحج وعرفة كما نعلم أرض صحراء فلا مفر للحاج من السكون تحت خيمة لم يألف الجلوس فيها - وطبعا لا يخفى علينا ما للدور الحديث من توفير سبل الراحة والاطمئنان للانسان - حيث يجد نفسه مع اناس لا يعرفهم ولكنه يعرف انهم يلبسون ما يلبس ويقصدون المولى عز وجل كما يقصده بالدعاء بالتلبية بالاستغفار .. ومن ثم تواجده وسط مجموعة

---

(١) رواه البخارى كتاب الايمان باب قيام ليلة القدر من الايمان وانظر فتح البارى جـ ١ ص ٨٥ ، ٨٦ ، ورواه الترمذى جـ ٢ ص ٩٦ وقال حديثا صحيح .

(٢) سورة آل عمران (٩٧) (٣) سورة النحل آية (٧)

كبيرة من البشر تتحرك نحو مكان واحد من عرفة الى مزدلفة - حيث يبيت فيها أو يقضى معظم الليل فيها وان لم ينم - يتطلب صبرا وتحملا وسكينة . . ناهيك عن وجوده وسط الزحام الشديد المتجه لرمى الجمرات ومن ثم قضاء ثلاثة أيام بمنى ربما يبحث فيها عن طعام معين فلا يجده لكثرة الزحام أو لعدم معرفته بمكانه فلابد له هنا أن يصبر على أى طعام يجده أو شراب أو مكان يأوى اليه وان لم يكن مريحا .

وكذلك تتمة مناسك الحج من طواف وسعى ومحاولة تأدية جميع المناسك تتطلب صبرا ومجاهدة للنفس والهوى . . وتلمسا للتقوى وامتثالا لقوله عز وجل (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج)[(١)] وأيضا رجاء الحصول على الثواب المعد للحج المبرور من تكفير الذنوب ومحوها لقوله صلى الله عليه وسلم (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه)[(٢)] وفى رواية الترمذى (من حج فلم يرفث ولم يفسق غفر له ما تقدم من ذنبه)[(٣)]

وقوله صلى الله عليه وسلم (العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة)[(٤)] .

---

(١) سورة البقرة (١٩٧)

(٢) رواه البخارى كتاب الحج باب فضل الحج المبرور ، انظر فتح البارى ج٣ ص٣٠٣ ومسلم كتاب الحج باب فضل الحج والعمرة جـ ٩ ص ١١٩ .

(٣) رواه الترمذى فى باب ما جاء فى ثواب الحج والعمرة جـ ٢ ص ١٥٣

(٤) رواه مسلم كتاب الحج باب الحج والعمرة جـ ٩ ص ١١٧

والمقصود بالحج المبرور هنا الذى لم يخالطه اثم ولم يرتكب فيه محظور أو معصية أو تعد على أحد بشتم أو ضرب أو الحاق الظلم به . . وعلم علمنا أن للحج المبرور منزلة عالية ومكانة كبيرة عند المولى عز وجل المطلع على مدى تحمل عباده لتأدية هذا الركن العظيم وصبرهم على مافيه من طاعات أو بعد عن المعصيات .

ومن الامور الهامة المتطلبة للصبر الجهاد فى سبيل الله فالمولى عز وجل حث على الجهاد وحبب اليه وأمر بالثبات عند لقاء العدو فقال (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)(1)

ولانه جل شأنه يعلم أن للايمان الصادق الحق وللروح المعنوية القوية أثرا بالغا عظيما فى صدق الدفاع وفى النصر . . جعل المؤمن الصابر الصادق الايمان يساوى عشرة رجال فى المعركة ، ذكر ذلك فى قوله تعالى (يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون)(2)

ولكن مثل هذا المؤمن الصابر المقاتل نادر الوجود لذا جعل المؤمن الواحد يساوى اثنين من الكفار أو الاعداء حيث جاء فى الاية السادسة والستين من سورة الانفال : (الان خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين)

---

(١) الانفال (٤٥)
(٢) الانفال (٦٥)

ونحن اذا تأملنا آيات الجهاد والاحاديث الواردة فى فضل الجهاد وجدنا ارتباطهما بالصبر ارتباطا وثيقا .. فعند فرضية هذه العبادة نرى المولى عز وجل يقول كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)[١]

بمعنى فرض[٢] عليكم وترون فيه مشقة وشدة فان المجاهد اما أن يقتل أو يجرح مع مشقة السفر ومجالدة الاعداء ولكن الجهاد فيه خير لكم فاذا أديتموه وصبرتم على تأديته كانت عاقبته النصر والظفر على الاعداء والاستيلاء على بلادهم وأموالهم اما اذا أحببتم القعود عن القتال فذلك ليس من مصلحتكم والله حينما فرضه عليكم - أى الجهاد - فرضه وهو عالم بما فيه صلاحكم فى دنياكم وآخراكم فاستجيبوا له وانقادوا لعلكم ترشدون .[٣] ولذا قال صلى الله عليه وسلم (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق)[٤]

والجهاد الحقيقى كما نعرفه هو ما قصد به وجه الله وأريد به اعلاء كلمة الله .. أما من جاهد وقاتل ليحصل على منصب أو ليظفر بغنيمة أو ليتباهى بشجاعة يرائى بها الناس فانه لا حصة له فى الاجر ولا نصيب له فى الثواب

---

(١) سورة البقرة (٢١٦)

(٢) يقول ابن العربى فى تفسيرها : القتال مكتوب على جميع الخلق ولكن ان كان الاسلام ظاهرا فهو فرض على الكفاية وان كان العدو ظاهرا كان القتال فرضا على الاعيان جـ ١ ص ١٤٦ .

(٣) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٥٢

(٤) رياض الصالحين ص ٤٧٥ ، رواه مسلم كتاب الجهاد باب ذم من مات ولم يغزو جـ ١٣ ص ٥٦

وبالتالى لم يكن من المجاهدين فى سبيل الله .. وانما المجاهدون فى سبيل الله - تلك الغاية المقدسة النبيلة - هم الذين ينفرون خفافا وثقالا شبانا وكهولا ، أغنياء وفقراء ، ضعفاء وأقوياء .. ينفرون صابرين على ماكتب عليهم باذلين أموالهم ومهجهم رخيصة فى سبيل الله .. فى سبيل مرضاته وامتثال أمره (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون)[1] .

ذلكم خير لكم بنيل الاجر والغنيمة أوالشهادة والجنة .. ومن الخير أيضا طاعتكم الله ورسوله وامتثال أوامرهما واجتناب وعدم منازعتكم واختلافكم ففى ذلك فشلكم وذهاب قوتكم وما كنتم فيه من الاقبال على القتال .. والصبر فى ذلك كله له نتائج طيبة عائدة عليكم نعلمها من قوله تعالى (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين)[2] ومن كان مولاه معه كان مؤيدا ظافرا .

ومعلوم لدينا ان الجهاد ذروة سنام الاسلام وان احتمال مشقات الجهاد ومتاعبه وبذل النفس والنفيس فى سبيل العقيدة لا يتم الا بالصبر .. لذا جمع بينهما فى آيات كثير :

---

(١) سورة التوبة (٤١)

(٢) سورة الانفال (٤٦)

١ – منها قوله تعالى (ولنبلوكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم)[1] ابتلاء بتكاليف مستمرة متنوعة .. وابتلاء بالسراء والضراء .. بالسعة والضيق .. ابتلاء بالصحة والمرض .. ابتلاء ينكشف به المجاهدون والصابرون ويتميزون عن غيرهم وبذلك تتطلع النفوس وترى معادن الناس وتعرف حقائقهم .. ويكون الواحد منهم مثالا وقدوة لغيره أو عبرة ورادعا لهم .. وتتم حكمة الله فى الابتلاء .

٢ – وقوله تعالى (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين)[2] وذلك فى حث المؤمنين على الصبر والثبات عند لقاء العدو مهما كثر عدده ومعداته .. فالمجاهدون حقا فى سبيل الله هم الذين يستمدون قوتهم ويقينهم من ثقتهم بالله وانه مع الصابرين .. من ايمانهم الصادق بتحقيق قوله (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) (*).

٣ – وقوله تعالى على لسان بعض المؤمنين العارفين بقيمة الصبر (قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين)[3] ربنا افرغ علينا صبرا .. تعبير يصور مشهد الصبر فيضا من الله يفرغه عليهم فيغمرهم وينسكب عليهم طمأنينة وسكينة واحتمالا للهول والمشقة .[4]

---

(١) سورة محمد (٣١)
(٢) سورة البقرة (٢٤٩)
(٣) سورة البقرة (٢٥٠)
(٤) ظلال القرآن لسيد قطب جـ ٢ ص ٣٩٥
(*) سورة الروم (٤٧)

٤ - قوله تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين)[1] أى أحسبتم يامن انهزم يوم أحد أن تدخلوا الجنة كما دخل الذين قتلوا وصبروا على ألم الجراح والقتل من غير أن تسلكوا طريقهم وتصبروا صبرهم فحكمته جل وعلا ألا يدخلوها الا بالجهاد والصبر .[2]

اذن فالجنة جزاء الجهاد فى سبيل الله والصبر المصاحب .. يقول تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)[3]

ويقول صلى الله عليه وسلم (ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع الى الدنيا وان له ما على الارض من شىء الا الشهيد يتمنى أن يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة) .[4]

وطاعة الوالدين أوجبها المولى عز وجل على المسلم فعليه أن يعرف واجب برهما والاحسان اليهما لانهما سبب وجوده فى هذه الحياة ولانهما قدما له من الجميل ما يوجب معه مكافأتهما بالمعروف فيصبر على طاعتهما فى أمر قد لا يرغبه

---

(١) آل عمران (١٤٢) (٢) تفسير القرطبى جـ ٢ ص ١٤٦٢ (٣) التوبة (١١١)
(٤) رواه مسلم - كتاب الجهاد باب فضل الشهادة فى سبيل الله تعالى جـ ١٣ ص ٢٤

أو نهيهما عن أمر يود فعله . . وما ذاك الا امتثالا لقوله تعالى[١] (وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أوكلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما[٢] وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا)[٣] .

فهو مأمور هنا بأن يستعمل معهما لين الجانب وحسن الخلق والاحتمال فيوقرهما ويطيعهما ويخفض جناحه لهما ويكرمهما بالقول والفعل فلا يؤثر عليهما زوجة ولا ولدا ولا يسافر الا باذنهما ورضاهما ولا ينهرهما ولا يرفع صوته فوق صوتيهما . . بل لم يرخص له فى أدنى كلمة ـ أف ـ تظهر، تضجره وعدم صبره على احتمال احوالهما أو أقوالهما خاصة اذا تقدمت بهما السن حيث تهن قوتهما وتضعف وتشتد حاجتهما الى مزيد من العناية بشئونهما والرعاية لمشاعرهما . . والدعاء لهما بالرحمة عند كبرهما وبعد وفاتهما .

وحسبنا بيانا لمنزلة الابوين واشادة بحقهما أن قرن المولى عز وجل الاحسان اليهما بالامر بتوحيده فى كثير من الايات منها قوله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به وبالوالدين احسانا)[٤] وقوله تعالى (قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا)[٥]

---

(١) روى ابن كثير عن مجاهد أن قضى بمعنى وصّى جـ ٣ ص ٣٤ وقال الزمخشرى فى الكشاف وقضى ربك : وأمر أمرا مقطوعا به جـ ٢ ص ٤٤٤

(٢) النهر : الزجر والغلظة . كما فسر فى القرطبى جـ ٥ ص ٣٨٥٩

(٣) سورة الاسراء (٢٣-٢٤)

(٤) سورة النساء (٣٦)

(٥) سورة الانعام (١٥١)

وقوله تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا)[١]

واذا ربط سياق الايات بر الوالدين بعبادة الله فهو يعلن قيمة هذا البر عند خالق البشر ، وفي تكرار الوصية بالاحسان للوالدين تحريك لوجدان الابناء ولفت انتباههم وتذكيرهم بما فعله الجيل السابق الصابر من أجله حيث أعطى كل عافية وكل جهد وكل اهتمام وذلك كله بسعادة غامرة وبصبر لا يعرف الضجر فلابد اذن من البر والطاعة والاحسان ولابد من الصبر لاداء ذلك كله .. فالوالدان وخاصة الام قاست من آلام الحمل والوضع والرضاع والتربية ما قاست .. يقول تعالى (ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها)[٢]

ويقول أيضا جل شأنه (ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا[٣] على وهن)[٤]

فالام هي التي غذته بلبنها وغمرته بحنانها ، وشقيت لاجل اسعادة وتعبت لاجل راحته .. وصبرت وتحملت الالام في سبيل أن ترى ابنها زهرة يانعة .. ولولا رعايتها وحنانها وتحملها للمتاعب لما عاش هذا الانسان .. ولما كانت الام من أصل خلقتها ضعيفة البنية ، والحمل يزيدها ضعفا كان الاهتمام بها أولى وحقها في البر أعظم فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال (جاء رجل الى

---

(١) سورة الاسراء (٢٣)
(٢) سورة الاحقاف (١٥)
(٣) الوهن : الضعف القرطبي جـ ٦ ص ٥١٤٦ تفسير آيات الاحكام للصابوني جـ ٢ ص ٢٣٦
(٤) سورة لقمان (١٤)

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ قال : أمك قال ثم من ؟ قال : أمك ، قال ثم من ؟ قال أمك ؟ قال : ثم من ؟ قال : أبوك) (١)

والاسلام يدعو الى بر الوالدين ولو كانا مشركين ويأمر بالبر بهما والاحسان اليهما ، ويحرم عقوقهما وعصيانهما الا أن يدعوا الى أمر مخالف للدين يقول تعالى (وان جهداك لتشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما) (٢) (وان جهداك على أن تشرك بى ماليس لك بهعلم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا) (٣) .

فالمسلم هنا مأمور بأن يصاحبهما فى الدنيا بالمعروف ويطيعهما فى غير معصية الخالق وتضييع لحقه . . يصاحبهما بالاحسان غير متأثر بموقفهما من ايمانه . . صابرا على دينه متمسكا به مادام يعلم أنه على حق .

وبتأملنا للايات الثلاث الموصية ببر الوالدين نجد أن التوصية منصبة على الانسان فكأن فيها أمر بتنفيذ الوصية بانسانيته . . بأخلاقه . . بآدميته مراعيا من امتص رحيق حياتهما كى يعيش هو . . مهتما بمن تحملا الالام والمشقات كى يسعد هو . صابرا على كل مايصدر عنهما مما لا يرغبه أو مما ليس فى مقدوره ،

---

(١) صحيح البخارى - كتاب الادب باب من أحق الناس بحسن الصحبة فتح البارى ج ١٠ ص ٣٣٦ ، ورواه مسلم كتاب البر والصلة - باب بر الوالدين وانهما أحق به ج ١٦ ص ١٠٢ .

(٢) العنكبوت (٨) (٣) لقمان (١٥)

فعله .. متأملا الحديث الشريف الذى رواه عبد الله بن مسعود قال (سألت النبى صلى الله عليه وسلم أى الاعمال أحب الى الله تعالى ؟ قال الصلاة على وقتها . قلت ثم أى ؟ قال بر الوالدين ، قلت : ثم أى ؟ قال الجهاد فى سبيل الله . قال حدثنى بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو استزدته لزادنى) .[1]

وكان الظاهر أن يقدم الجهاد على الصلاة لوقتها وبر الوالدين لان فيه مشقة أكبر وبذل للمال والنفس ، ولكن الجهاد واجب وقتى والصلاة واجب دائم كالبر بالوالدين .. فالصبر على مشقتهما وان كان أدنى من الصبر فى مواطن الجهاد ولقاء العدو الا أن المداومة على تأديتهما طوال السنين جعلت المشقة فيهما أكبر ورفعت درجتهما عن الجهاد وان كان الجميع قرناء .

والصبر زاد لا بد منه لمن سلك طريق العلم .. فالاسلام ـ على علمنا ـ فرض على المسلم أن يتعلم (أصول العقائد والعبادات والمعاملات والحلال والحرام) بما تسلم به عقيدته ويصح دينه وان كان فرض على الامة الاسلامية أيضا أن تتعلم من وسائل الحياة والعمران وأسباب القوة ما يقوم بشأنها ويصون عزتها حتى تكون حصنا منيعا فى وجه أعدائها .. وقد بين فضل العلم وشرفه وعلو مكانته وفرق بين العالم والجاهل فى قوله تعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)[2] (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)[3]

---

(١) رواه مسلم جـ ٢ ص ٧٤ كتاب الايمان باب أفضل الاعمال ورواية الترمذى (يارسول الله اى الأعمال افضل ؟ قال الصلاة لميقاتها قلت ثم ماذا ؟) جـ٣ ص ٢٠٦

(٢) سورة الزمر (٩) (٣) سورة المجادلة (١١)

وطريق العلم محفوف بالمتاعب مملوء بالصعاب ويتطلب اجتهادا ومثابرة وأدبا وحلما وصبرا وهذا ما اشترطه العبد الصالح على النبي موسى عليه السلام حينما طلب منه ملازمته واستأذنه لمرافقته . . حيث شرط عليه ألا يسأله عن تصرفاته بل يصبر عليه لا نه سيبين له سرها ويعللها له فيما بعد (قال له موسى هل اتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا قال أنك لن تستطيع معي صبرا ، وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا قال : ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا قال : فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا . فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها)[1] فهال موسى عليه السلام هذا الفعل العجيب ونسى شرطه فاعترض (قال : أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا أمرا)[2] فذكره بالشرط (قال : ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال : لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا)[3] وقبل الرجل اعتذاره (فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال : أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا)[4] .

قال ذلك وكله أسى وتوجعا لموت الغلام البريء . . قاله جازعا غير صابر على وقوع هذا المنكر الفظيع . . معترضا على هذه الجريمة الحاصلة دونما ذنب . . فما كان من العبد الصالح الا أن قال بلهجة المعاتب المؤنب

---

(١) سورة الكهف (٦٦ : ٧١)

(٢) الامر : العجب كما ذكره القرطبي جـ ٥ ص ٤٠٥٨ وروى ابن جرير عن مجاهد ان امرا : منكرا جـ ١٥ ص ١٨٤

(٣) سورة الكهف (٧٢ ، ٧٣)

(٤) سورة الكهف (٧٤) قال ابن عطية امرا : افظع وأهول من حيث هو متوقع عظيم ، ونكرا : بين في الفساد لان مكروهه قد وقع وهذا ابين . أي أن نكرا ابلغ القرطبي جـ ٥ ص ٤٠٦١

(ألم أقل لك أنك لن تستطيع معى صبرا)[١] مؤكدا بذلك على ضرورة صبر المتعلم .. وهنا رد موسى على الفور (قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا)[٢] وهذا شرط لازم والمسلمون على شروطهم وأحق الشروط أن يوفى بها ما التزمه الانبياء .. فموسى عليه السلام يرى من الخضر من المواقف والتصرفات مالا يطك .. مع السكوت والصبر لذا كان يعترضه المرة تلو الاخرى الى أن قال العبد الصالح (هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا)[٣] .

فمن هذه القصة تأخذ العبر الاتية :

١) ضرورة الصبر لمن سلك طريق العلم خاصة اذا وضع المرء نصب عينيه قوله صلى الله عليه وسلم (من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة)[٤]

٢) درسا فى قوة الارادة والعزم على بلوغ الهدف مهما كانت العوائق كما فى قول موسى عليه السلام (لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا)[٥] أى لا أزال سائرا الى أن أصل الى مقصودى ولو سرت زمانا من الدهر[٦] .. ، وكما

---

(١) سورة الكهف (٧٥) (٢) الكهف (٧٦)
(٣) الكهف (٧٨)
(٤) رياض الصالحين ص ٤٨٦ ورواه مسلم فى كتاب الذكر باب الاجتماع على تلاوة القرآن جـ ١٧ ص ٢١
(٥) الكهف (٦٠)
(٦) مع الانبياء لعفيف طبارة ص ٢٦٧

في نصيحة ابن هشام النحوى لطلبة العلم بالصبر على مشاق العلم والتحصيل اذ هو شرط فى نيل المراد العزيز الغالى حيث يقول :

ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل
ومن لم يذل النفس فى طلب العلا يسيرا يعش دهرا طويلا أخا ذل [1]

٣) درسا فى أدب المتعلم مع المعلم . . وهذا يتراءى لنا فى قول موسى عليه السلام (هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا) [2] بهذا الادب الجم يخاطبه . . فموسى يضع نفسه من العبد الصالح موضع المتعلم فيعطى له حق قيادته وارشاده . . فاذا نبهه الى أمر تنبه واذا بين له خطأ بادر الى الاعتذار ووعد بالطاعة (لا تؤاخذنى بما نسيت) .

٤) كشف العبد الربانى لموسى الغطاء عن شيئين فى نفس الوقت حيث كشف له أن علمه (أى علم موسى) محدود . . كما كشف له أن كثيرا من المصائب التى تقع على الارض تخفى فى ردائها الاسود الكئيب رحمة عظمى . . فالنعمة تختفى فى ثياب المحنة وترتدى الرحمة قناع الكارثة ويختلف ظاهر الاشياء عن باطنها حتى ليحتج نبى الله موسى عليه السلام على تصرف يجرى أمامه ثم يلفته عبد من عباد الله الى حكمة التصرف ومغزاه ورحمة الله التى تخفى نفسها وراء أقنعة عديدة . [3]

---

(١) صفحات من صبر العلماء لعبد الفتاح أبو غدة ص ٥٢ الطبعة الثانية .
(٢) سورة الكهف (٦٦)
(٣) أنبياء الله - أحمد بهجت ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ الطبعة الثالثة .

هذا وهناك أنواع من الطاعات والعبادات غير قليلة لها ارتباط بالصبر منهـا :

١- التوكل : وذلك فى قوله تعالى(والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ولا جر الا خرة اكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون)[1] وقوله (فنعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون)[2] .. فلقد جمع بين الصبر والتوكل لان نجاح المرء فى تحقيق ما يصبو اليه يتعلق بأمرين : أمر من ناحيته وماكان فى وسعه من جهود يبذلها وصعاب تعترضه يتخطاها وهذه كلها محتاجة الى الصبر ، وأمر من المولى عز وجل مما يخبئه له القدر ويستره الغيب .. وهذا لا يملك منه المرء الا التوكل على الله والثقة به .

٢- اليقين : كما فى قوله تعالى (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)[3] .

يقول الغزالى المراد باليقين : المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده الى أصول الدين ، والمراد بالصبر : العمل بمقتضى اليقين اذ اليقين يعرفه أن المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة الا بالصبر وهو استعمال باعث الدين فى قهر الهوى والكسل[4] ولان الايمان يطلق على التصديق والاعمال

---

(١) النحل (٤١، ٤٢)
(٢) العنكبوت (٥٩)
(٣) سورة السجدة (٢٤)
(٤) احياء علوم الدين للغزالى جـ٤ ص ٦٥

وهنا التصديق والمعرفة يكونان اليقين والعمل هنا يعنى الصبر ولانهما لا يستغنيان عن بعضهما اقترنا هنا .

٣- الشكر . . وهو طاعة لورود آيات كثيرة الامربه منها قوله تعالى (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا) [١] وقوله (ان اشكر لى ولوالديك الى المصير) [٢] ولان الشكر يعقب نعما كثيرة لم تفتن صاحبها أو مصائب جمة عرف انها من أقدار الله فصبر عليها اقترن الصبر بالشكر فى قوله تعالى (ان فى ذلك لايات لكل صبار شكور) حيث جاء هذا التذييل لاربع آيات من أربع سور مكية . [٣]

٤- الحق . . فى قوله تعالى (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) [٤] وهنا اقترن الحق والصبر لان تكاليف الحق ثقيلة وطريقه محفوف بالمكاره ومن نصب نفسه للحق . عليه أن يستمسك بالصبر ويتحلى به فى سبيل الحق حيث لا نصر للحق بغير صبر ومن ثم فتكرار لفظة التواصى بالصبر تدل على مكانة الصبر وأهميته وانه ينبغى للمرء أن يتواصى به لذات الصبر وليس تبعا للحق فقط .

---

(١) النحل (١١٤)
(٢) لقمان (١٤)
(٣) المعجم المفهرس ص ٤٠١ مادة صبر .
(٤) العصر (٣)

٥- التقـوى . . في قوله تعالى (وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيد هم شيـئا)[١] (وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور)[٢] (انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين)[٣]

وجاء في قوت القلوب : والتقوى والصبر معنيان أحدهما منوط بالاخر لا يتم كل واحد منهما الا بصاحبه فمن كانت التقوى مقامه كان الصبر حاله فصار الصبر افضل الاحوال من حيث كانت التقوى أعلى المقامات اذ الاتقى هو الاكرم عند الله تعالى - ان أكرمكم عند الله أتقاكم - والاكرم على الله هو الافضل .[٤]

وعلق ابن القيم تعليقا طيبا على قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)[٥] حيث قال قد يصبر - أي المؤمن - ويصابر ويرابط من غير تعهد بالتقوى فأخبر جل شأنه أن ملاك ذلك كله التقوى وان الفلاح موقوف عليها فقال (واتقوا الله لعلكم تفلحون) فالمرابطة كما أنها لزوم الثغر الذى يخاف هجوم العدو منه في الظاهر فهي - أيضا - لزوم ثغر القلب لئلا يدخل منه الهوى والشيطان فيزيله عن مملكته .[٦]

---

(١) آل عمران (١٢٠)
(٢) آل عمران (١٨٦)
(٣) يوسف (٩٠)
(٤) قوت القلوب جـ ١ ص ١٩٧
(٥) آل عمران (٢٠٠)
(٦) عدة الصابرين لابن القيم ص ١٣

ويكفينا نموذجا رفيعا يمثل الصبر على تقوى الله وطاعته فيما أمر مهما كان فى ذلك الامر من مخاطر - قصة اسماعيل مع ابيه ابراهيم عليهما السلام فقد رأى الخليل ابراهيم عليه السلام فى المنام أنه يذبح ولده الذى هو مهجة قلبه وأمل حياته - ورؤيا الانبياء حق ووحى - ففهم ما أشارت به الرؤيا من امتحان ايمانه ودرجة طاعته وتقواه فما كان منه الا أن عرض الامر على الابن لينظر فيه وحتى لا يأخذ ابنه ويذبحه قهرا (يابنى أنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ؟)[1] واذا برد الابن يأتيه مبينا رضاه لامر الله وكاشفا له منافسته فى حب الله ومخلدا اسمه فى سجل الانبياء الصابرين (ياأبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين)[2] . . وبهذا دخل فى زمرة الصابرين (واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين ، وادخلناهم فى رحمتنا انهم من الصالحين)[3] وكانت تلك التضحية فى سبيل الله تضحية من وجهين : تضحية الوالد بولده وتضحية الابن بنفسه . .[4] وهى بالتالى من أرفع صور الايمان وأجلها فى تاريخ الانسانية . . ومن ثم لا نعرف أى مشاعر جاشت فى نفس ابراهيم بعد استسلام ابنه الصابر . . وكل الذى نعرفه انه من كان مطيعا تقيا كان صابرا .

ومن هنا نرى أن معظم الطاعات والاعمال الصالحات مرتبطة بهذا

---

(١) سورة الصافات (١٠٢)
(٢) سورة الصافات (١٠٢)
(٣) سورة الانبياء (٨٥ ، ٨٦)
(٤) مع الانبياء لعفيف طبارة ص ١٣٩ ، أنبياء الله أحمد بهجت ص ٩٤

القول العظيم (الا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير)[١]
مما يجعل للصبر مكانة عالية ويجعله فى تأدية العبادات واجبا .



النوع الثاني ـ الصبر عن المعاصي

مما يسترعى الانتباه أن المجتمعات اليوم ـ فى سائر أرجاء الارض ـ
تبتعد عن أوامر الله يفعل الفرد المعاصى دون وجل ويحلل المحرمات دون
وازع من دين أو خلق يعتبر أن حياته التى يعيشها محصورة فى هذه الدنيا فقط
ويظن أن سعادته فى نيل اللذات المحرمة ويوحى الى نفسه والى من حوله
أن أفعاله تلك هى المعقولة . . هى المسايرة للتطور الحضارى . ولكنه
حينما يخلو الى نفسه وينظر فى حقيقة ذاته يدرك أن قلبه لم يشعر بلذة ، وأن
ضميره يحتقر ما فعله هذا اذا كان من أصحاب النفوس الطيبة . . ذلك
أن النفوس الغير خبيثة لابد أن تدرك يوما أن للمعاصي والذنوب والخطايا
آثارا نفسية واجتماعية سيئة وخطيرة فتمقتها وتبتعد عنها . ولما كانت المعاصى
كبيرة أو صغيرة ، ظاهرة أم باطنة محرمة ومنهى عنها كان الصبر عنها ذا قيمة كبرى
فى حياة الفرد والمجتمع لانها لم تحرم عليه الا لانها ضارة بصحته وعقله وعمله

---

(١) سورة هود (١١)

وضارة بمجتمعه لانها تجعله ينقسم على نفسه ويتفرق عقده ويصبح عرضة للفتن والحروب .

ومن كبائر الاثم التى جاء الوعيد فيها بالعذاب الشديد يوم القيامة : ترك الصلاة ، والصلاة كما نعلم عدا كونها تصل المرء بربه - ماحية للذنوب ناهية عن الفحشاء والمنكر كما أشار القرآن الكريم (وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين)[١] (اتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون)[٢] . فاذا تركت الصلاة وغفل المرء عنها وسول له الشيطان ان لا فائدة منها وقعت الفاحشة وابتعد المرء عن ربه وضاعت حياته سدى واذا فارق الدنيا فارقها على غير ملة الاسلام - والعياذ بالله - يقول صلى الله عليه وسلم (بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة)[٣]

واذا صبر المسلم عن ملهيات الحياة وشهواتها الفانية وحافظ على صلواته التى تصله بمولاه وتمده بقوة عند المحن وجاهد بشدة الوساوس والمغريات التى تصرفه عن الصلاة . فصبره ذاك محمود واجب ، ولان من يخضع جوارحه لامر الله فى الصلاة - من ركوع وسجود - مرات عديدة فى اليوم والليلة تصبح نفسه مطيعة لاوامر الله ورسوله فى بقية الامور وفى طاعتهما الطريق الموصل لسعادته دنيا وآخرة .

---

(١) سورة هود (١١٤) (٢) سورة العنكبوت (٤٥)
(٣) صحيح مسلم كتاب الايمان باب حكم تارك الصلاة جـ ٢ ص ٧١ ، نيل الاوطار جـ ١ ص ٣٤٠ .

ومن المعاصي المفروض الصبر عنها عقوق الوالدين والذي من مظاهره :

١ - شتمهما وسبهما الذي يعد من الكبائر فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أكبر الكبائر ان يلعن الرجل والديه قيل يارسول الله وكيف يلعن الرجل والديه قال : يسب أبا الرجل فيسب الرجل أباه)(١) وفي هذا استهتار بكرامة الوالدين وتعريض اسميهما للاحتقار والامتهان.

٢ - هجر الوالدين ورفض زيارتهما نتيجة حصول الابن على منصب اجتماعي مرموق وانغماسه في طبقة تعلو على طبقة والديه . . وبالتالي عدم مساعدته لهما ماديا ان كانا فقيرين .

٣ - تحميل الوالدين فوق طاقتهما مثل كثرة مطالبتهما بالمال وتهديدهما بالضرب ان كانا ضعيفين - أو بالقاء نفسه في النهر نتيجة سوء تفاهم واقع بينهم .

والمرء اذا ضاقت به الدنيا ومهد له اصحاب السوء عقوق والديه عليه أن يضبط نفسه ولا يتركها للغضب أو اليأس أو استماع السوء . . عليه أن يعالج أموره بالهدوء والحكمة ويفكر في الوسائل التي تزيل الخصام بينه وبين والديه ويعمل جهده كي يسعدهما ويبرهما ويصبر على ايذائهما له ويصبر عن معصيتهما ومخالفتهما وعقوقهما مهما كانت النتائج . . ولن تكون النتائج سيئة مادام

---

(١) صحيح البخاري كتاب الادب باب لا يسب الرجل أبويه / فتح الباري ج ١٠ ص ٣٣٨ ، مسند أحمد ج٢ ص ٢١٦ ، صحيح مسلم كتاب الايمان باب اكبر الكبائر ج ٢ ص ٨٣

الابن يحاول أن يبرهما امتثالا لامر ربه فى طاعتهما (وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا)[1] ومعلوم أن رضا الرب فى رضا الوالد فقد روى الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله (رضا الرب فى رضا الوالد وسخط الرب فى سخط الوالد)[2]

ومن المعاصى التى يجب البعد عنها التخلف عن جهاد العدو لان ذلك يؤدى الى الهزيمة وبالتالى الحاق العار والذل بالامة ، ومن ثم فالتخلف عن جهاد العدو معصية تفضى بصاحبها الى أمرين ،غضب الله وعذاب النار قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا[3] فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير)[4] .. بل التخلف عن الجهاد من الموبقات التى حذرنا منها المصطفى عليه الصلاة والسلام (اجتنبوا السبع الموبقات قالوا وما هن يا رسول الله ؟ قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات)[5] .

---

(١) سورة الاسراء (٢٣)

(٢) الترمذى جـ ٣ ص ٢٠٧ باب الفضل فى رضا الوالدين .

(٣) التزاحف : التدانى والتقارب ،ومتحرفا للقتال : مستطردا لقتال عدوه بطلب عورة له يمكنه اصابتها فيكر عليه ،متحيزا الى فئة: صائرا الى حيز المؤمنين الذين ينيئون به معهم اليهم لقتالهم ويرجعون به معهم اليهم الطبرى جـ ٩ ص ١٣٣

(٤) سورة الانفال (١٥ ، ١٦)

(٥) الكبائر للذهبى ص ٧٨ ، مسلم جـ٢ ص٨٣ كتاب الايمان باب اكبر الكبائر .

وقد يكون التخلف عن جهاد الاعداء - بعدم المشاركة فى جيوش المسلمين وخوض غمار المعركة لدفع خطر الاعداء - تكاسلا وتهاونا دون عذر وايثارا للدعة والعيش فى أمان وذلك كما حصل لثلاثة من المسلمين فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم - هم كعب بن مالك ، هلال بن أمية الواقفى ، مرارة بن الربيع العمرى - [١] وهؤلاء قد أدبهم الاسلام والمسلمون أدبا نفسيا مؤلما وعاقبهم عقابا اجتماعيا كاد يخرجهم من جماعة المسلمين . . . وسواء كان التخلف عند لقاء العدو اثناء المعركة أو بمعنى عدم المشاركة فى الجهاد - أصلا - رغبة فى الحياة وتعلقا بها فهو معصية الدافع اليها الكسل وعدم الرغبة فى الجهاد . . والصبر عنها من الامور الواجبة ، لان مآل تلك المعصية ظاهر واضح . . ويعتبر البعد عنها الصواب والسداد والتجارة الرابحة (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون) [٢]

والكبرياء لما كانت آفة من آفات المجتمع ضارة به اعتبرت من كبائر الاثم وحذرنا جل شأنه منها بقوله تعالى (سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق) [٣] (انه لا يحب المتكبرين) [٤]

والمتكبر يستعظم نفسه ويحتقر غيره ويزدريه ويرفض أن ينقاد له بالحق ، ويصم أذنيه عن كل نصيحة تأتيه من الناس وفى ذلك أنانية طاغية تصرفه عن تقديم

---

(١) رياض الصالحين ص ١٨
(٢) سورة التوبة (١١١)
(٣) سورة الاعراف (١٤٦)
(٤) سورة النحل (٢٣)

خدماته للمجتمع الذى يحتقر افراده ويعتقد أنه يتميز عنهم بما أوتى من علم أو عمل أو مال أوجاه أوقوة . . ومادام هذا شعوره نحو من حوله فالناس لن تضمر له الا الكراهية . . وليست الكراهية هى عاقبة الكبرياء بل عاقبته اكبر من ذلك بكثير يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم (ان الله لا ينظر الى من يجر ازاره بطرا لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر قيل يارسول الله ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال : ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس)[1] (ويقول ألا أخبركم بأهل النار : كل عتل[2] جواظ مستكبر[3]) .

ولكن قبل أن تقع هذه العاقبة الوخيمة وحيث لا ينفع الندم هناك علاج للكبرياء . . هو الصبر عنها . . هو أن يعود الانسان الى نفسه فينظر فى أصل نشأته . ومنتهى حياته ويرى هل يسوغ له أن يتكبر ؟ فهو اذا عرف قدر نفسه حق المعرفة وعرف مبلغ هوانه كان ذلك حافزا له على نزع الكبرياء من نفسه وهذا ما يلفت القرآن الكريم النظر اليه حيث يقول تعالى (ولا تمشى فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا)[4] (ولا تمشى فى الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور)[5] .

---

(١) رواه مسلم كتاب الايمان باب تحريم الكبر جـ ٢ ص ٨٩

(٢) العتل : هو الغليظ الجافى ، والجواظ هو الجموع المنوع أو هو الضخم الجسم المختال .

(٣) منهاج المسلم لابى بكر الجزائرى ص ١٦٠ ، رواه البخارى كتاب التفسير (باب عتل بعد ذلك زنيم) وانظر فتح البارى جـ ٨ ص ٥٠٨ ، وأبو داود : بروايته : لا يدخل الجنة الجواظ الجعظرى) باب فى حسن الخلق جـ ٢ ص ٥٥٣ .

(٤) الاسراء (٣٧) (٥) لقمان (١٨)

وفي معاملاتنا المادية توجد بعض المعاملات هي في أصلها معاصي وآفات حرمها الاسلام أو حذرنا منها ورسمنا كيفية معالجتها بما فيه صلاح الفرد والمجتمع منها :

١- أكل الربا : فهو محرم بقوله تعالى (وأحل الله البيع وحرم الربا)[1] ويلعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روى عن ابن مسعود انه قال (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه)[2] وجعله (ص) من المهلكات في الدنيا والاخرة حيث قال اجتنبوا السبع الموبقات : . . . وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل الربا . . . . .)[3]

والاسلام انما حرمه لانه يجعل العلاقة بين الافراد علاقة مادية صرفة لا أثر فيها للتعاون والتسامح ولا قيمة فيها للاخلاق ، لذا نقول لارباب المال: ان سول لكم الشيطان وحبب الى نفوسكم هذه المعصية وهي استغلال المال في الربا ، لان فائدته مضمونة ،فارتكبتموها فعليكم أن ترجعوا الى هدى الله وتستغفروه عما سلف وان لم تفعلوها فاصبروا عن هذه المعصية ولا تجعلوا لها سبيلا الى نفوسكم الطيبة ولتحاولوا استغلال هذه الاموال في التجارة والصناعة والزراعة ومن ثم الربح والخسارة انما هو من مالك الاموال جميعها . . وان أبيتم الا الربا فويل لكم لانتهاككم حرمات الله وعدم طاعتكم أوامره .

---

(١) سورة البقرة (٢٧٥)

(٢) رواه أبو داود في كتاب البيوع باب في آكل الربا وموكله وفي عون المعبود جـ ٩ ص ١٨٢ قال النووي فيه تصريح بتحريم كتابة المترابين والشهادة عليهما وبتحريم الاعانة على الباطل .

(٣) البخاري كتاب الوصايا باب قول الله تعالى (ان الذين يأكلون أموال اليتامى وانظر فتح الباري جـ ٥ ص ٢٩٤ ، مسلم كتاب الايمان باب أكبر الكبائر جـ ٢ ص ٨٣

يقول تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون)[1]

٢- أكل أموال اليتامى : فكانت معصية لان اليتامى ضعفاء ليس لهم معين يساعدهم ويعتنى بهم ويحفظ حقوقهم لذا حرم الاسلام أكل أموالهم وحذر من الطمع فيها بما تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ويخافون بطشه وعقابه . . قال تعالى (وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا)[2] أى ولا تضموها اليها فى الانفاق حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم قلة مبالاة[3] بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال انه أى أكلها ذنبا عظيما .

وقال تعالى (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا)[4]

واعتبر الاسلام ذلك من الموبقات السبع (وأكل مال اليتيم)[5] فكافل اليتيم ان صبر عن هذه المعصية المحرمة فحاول تدبير أموره المالية لرعايته

---

(١) سورة البقرة (٢٧٨ و ٢٧٩)
(٢) سورة النساء (٢)
(٣) تفسير النسفى جـ ١ ص ٢٠٥
(٤) النساء (١٠)
(٥) رواه مسلم كتاب الايمان باب اكبر الكبائر جـ ٢ ص ٨٣

لليتامى - أو استعمل مال اليتيم - ان كان فقيرا - بما يعود عليه أو عليهما بالنفع= فى تجارة أو زراعة = وحيث يحفظ لليتيم حقه الاصلى عاملا بقوله : (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن) [(١)] .. ومن ثم حاول أن يتعهده ويرشده ويعوضه عن أبيه كافلا رحيما وراعيا حكيما [(٢)] أثيب على ذلك كله بمرتبة عليا يقول صلى الله عليه وسلم (أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا) [(٣)]

٣- البخل : هذه الصفة الذميمة تعنى القسوة فى قلب صاحبها وفقدانه الرحمة .. تعنى انانيته الشديدة وعدم تفكيره بالغير ومراعاته لشعورهم واحتياجاتهم . تعنى البغضاء الدائمة بين الفقراء المحتاجين وبين الاغنياء البخلاء المترفين .. لهذا اعتبر الاسلام البخل من كبائر الذنوب .. فقد ورد مبينا ذلك قوله تعالى (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) [(٤)] .. وقد بين النبى صلى الله عليه وسلم الاثم العظيم الذى يلحق بالبخيل فقال (والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار) [(٥)] وبهذا المعنى جاء قوله تعالى (وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغنى عنه ماله اذا تردى) [(٦)] أى ومن بخل بحق الله واستغنى

(١) الانعام (١٥٢) (٢) المعاملات لعلى فكرى جـ ٢ ص ٢٣٢
(٣) البخارى كتاب الادب باب فضل من يعول يتيما وفى فتح البارى جـ ١٠ ص ٣٦٥ فى الحديث اشارة الى أن بين درجة النبى صلى الله عليه وسلم وكافل اليتيم قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطى ، ورواه مسلم كتاب الزهد باب فضل الاحسان الى الارملة والمسكين واليتيم جـ ١٨ ص ١١٣ ، ورواه أبو داود كتاب الادب ، باب من ضم يتيما فى عون المعبود جـ ١٤ ص ٦٠
(٤) آل عمران (١٨٠) (٥) الترمذى جـ ٣ ص ٢٣٢
(٦) سورة والليل (٨ : ١١)

عن ثوابه فسنيسره لطريق الشر [١] وأى شىء يدفع عن هذا الذى بخل بماله واستغنى عن ربه ماله يوم القيامة اذا هو تردى فى جهنم أى سقط فيها فهوى . [٢]

وما دام البخل معصية محرمة لما تجره على الانسانية من شرور واحقاد وما تطمسه فى نفس المؤمن - والعياذ بالله - من حب للاحسان والبر أو القرض . . وما دامت هذه نتيجة البخل وعاقبته كان الصبر عن هذه النزعة الخسيسة واجبا ونافعا لصاحبه قال تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) [٣]

والاسلام حرصا منه على صحة أفراده ومحافظة منه على سلامتهم البدنية والنفسية - كى يؤدوا فرائضه بخشوع - حرم عليهم بعض المأكولات والمشروبات لما تجلبه عليهم من أضرار وشرور كالخمر مثلا حرمت بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) [٤]

وتناولها بعد من المعاصى الكبيرة التى يجب الصبر عنها مهما حاولت نفس المرء أن تغريه ليتناولها على اساس كونها دواء للازمات النفسية أو على أساس

---

(١) ابن كثير جـ ٤ ص ٥١٨
(٢) ابن جرير الطبرى جـ ٣٠ ص ١٤٤
(٣) التغابن (١٦)
(٤) سورة المائدة (٩٠ : ٩١)

مسايرة الاصدقاء فى المناسبات الراقية الاجتماعية . . هذه النفس الشريرة ينبغى دفع شرها وكبت رغبتها المحرمة الغير واعية لاضرار هذه الخمر الملعونة ويكفى انها تزيل عقل الانسان ويحدث بعدها مايحدث من مصائب وشرور حيث يغتصب هذا أقرب الناس اليه وهو تحت تأثير الخمر . . ويخسر ذاك ثروته ويبددها فى القمار والرهان وهو سكران ويقتل هذا رجلا آخر بغيرحق ولاذنب وهو سكران وتصدر عن هذا ـ وهو ذو المركز المرموق المبجل ـ تصرفات مخجلة تجعله أضحوكة فى نظر الناس وبالتالى يقل احترامهم له . . . وغير هذا كثير ويكفى انها تصد عن ذكر الله والصلاة . . فالصبر عن هذه الكبيرة ـ شرب الخمر ـ واجب له آثاره الحميدة حيث يتوب المولى عز وجل عن شاربها اذا تاب أما اذا لم يقلع عنها فهو من الملعونين كما قال صلى الله عليه وسلم (لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه)[1] وهو أيضا من المحرومين منها يوم القيامة ، فعن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من شرب الخمر فى الدنيا ثم لم يتب منها حرمها فى الاخرة)[2]

وتناول بعض المأكولات كالميتة أو لحم الخنزير أو المنخنقة (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير)[3] (والمنخنقة والموقوذة)[4] المحرمة بعد

---

(١) رواه ابو داود كتاب الاشربة باب العصير للخمر وانظر عون المعبود جـ ١٠ ص ١١٢ ، مسند احمد جـ ٢ ص ٩٧
(٢) رواه مسلم كتاب الاشربة باب بيان أن كل مسكر خمر جـ ١٣ ص ١٧٢ ، ابن ماجة كتاب الاشربة باب من شرب الخمر فى الدنيا جـ ٢ ص ١١١٩ ، وفى نيل الاوطار : يحمل الحديث عند أهل السنة على أنه لا يدخلها ـ اى الجنة ـ ولا يشرب الخمر فيها ـ التى هى لذة للشاربين ـ الا ان يعفو الله عنه فهو فى المشيئة جـ ٨ ص ١٩٢ .
(٣) سورة البقرة (١٧٣)
(٤) المائدة (٣)

معصية الله وانتهاك لحرماته الصبر عنها واجب ، ولو بحث بعض المسلمين - المسافرين للخارج - عن الحكمة فى تحريمها الماصبر عنها فقط بل لخر ساجدا لله شاكرا له على تشريعه الحكيم المتضمن تحريم أغلب الاشياء التى تضر بالانسان فمثلا لحم الخنزير فيه أضرار تدعو الى تحريمه لا على المسلمين وحدهم ولكن على البشرية كلها :

١ - حيث فيه بعض الامراض المعدية التى اذا ما انتقلت للانسان أصابته بأمراض خطيرة قد تودى بحياته .

٢ - وقد تنتقل صفات الحيوان - المتغذى بلحمه - واخلاقه الى الانسان حيث تؤثر فيه وفى ميوله . ويقال أن بعض القبائل المتخلفة فى أفريقيا أصبحت شرسة تميل الى العنف والقتل وسفك الدماء بدون سبب وذلك نتيجة اكلها الحيوانات آكلة اللحوم . ولما كان الخنزير حيوانا شرسا مفترسا كان الصبر عن تناول لحمه واجبا محافظة على الصفات والاخلاق الانسانية .

٣ - ومن ثم فلحمه يحتوى على نسبة كبيرة من الدهن تصل الى نصف وزنه وهذا الدهن عسر الهضم ويزيد احتمال الذبحة القلبية وتصلب الشرايين .(١)

فهذه الاضرار وغيرها تكفى المرء للصبر عن تناول هذا اللحم الخبيث وأمثاله وان كان الصبر عنها واجبا اجتنابا لتحريم الله المصرح فى الايات السابقة .

---

(١) مجلة الوعى الاسلامى عدد ١٣٩/١٣٩٦هـ ص ٦١

ومن أهم المعاصي والكبائر التي يجب الابتعاد والصبر عنها ـ مهما كانت المغريات والدوافع ـ الزنا . قال تعالى (ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا)[١] .. فقد وصفه المولى عز وجل هنا بأنه فاحشة قبيحة وانه طريق سيء فويل لمن يسلكه .. واذا تأملنا النهي في الاية وجدناه زاجرا شديدا حيث نهى عن الاقتراب منه فضلا عن اتيانه وفعله ، والرسول صلى الله عليه وسلم شدد في النهي عنه وبين أن الزنا لا يجتمع مع الايمان بحال اطلاقا ، لان الايمان الصادق الصحيح يمنع المؤمن من معصيته وانتهاك حرماته فقال صلى الله عليه وسلم (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ...)[٢] ذلك أن من يقدم على فعل هذه المعصية المتناهية في القبح .. يقدم بشهوته فقط غير مراع ما تثيره من مشاكل واضرار اجتماعية وصحية وأخلاقية فبها تختلط الانساب وتثار الاحقاد بسبب الغيرة والمحبة وبها تضيع الاموال بالانفاق على أصحاب السوء وبهذه الفاحشة يكثر الاولاد الغير شرعيين وفي سبيل التخلص منهم تحصل مآسي وجرائم كثيرة لا يقرها شرع ولا عقل ، وبهذه المعصية المحرمة يقع الانسان في أمراض معدية خطيرة تهلك جسمه ويورثها نسله : كالسيلان والزهري وخلافه .. وبعدا عن ذلك كله نتساءل : ألا يقنع المرء بما أباحه الله له ؟ ولماذا لا يعمل بقوله تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون)[٣]

---

(١) الاسراء (٣٢)

(٢) رواه البخاري في كتاب المظالم باب النهي بغير اذن صاحبه / فتح الباري جـ ٥ ص ٨٦ ، ومسلم في كتاب الايمان باب نقصان الايمان بالمعاصي جـ ٢ ص ٤١ .

(٣) سورة المؤمنون (٥ : ٧)

ولماذا لا يصبر عن هذه المعصية الظاهرة الفساد ؟ . . وهلا اقتدى بيوسف عليه السلام الذى صبر عن هذه المعصية الكبيرة صبر اختيار ورضا ؟ وحاول جاهدا محاربة نفسه - البشرية الامارة بالسوء - خاصة وأن جميع الاسباب كانت مهيأة ودافعة له على اقتراف تلك المعصية العظيمة منها :

١ - ان المرأة التى دعته الى نفسها سيدته وهى جميلة ومكتملة وجريئة.

٢ - ولانه كان شابا فيه الحيوية والنشاط والقوة .

٣ - وكان غريبا بعيدا عن أهله وأصحابه والغريب قد يخطر له أن يفعل ما يشاء فى بلد الغربة دون أن يستحى من شىء .

٤ - وكان أيضا غير متزوج فليس عنده ما يصونه ويرد عنه شهوته .

٥ - وكان أيضا مملوكا - عبدا - لسيدته التى تأمره أن يفعل بها الفاحشة وكان بامكانه الاستجابة لها خاصة وأن سيده غير موجود وكان بامكانه اطاعة أمرها دفعا لتهديدها حيث توعدته - ان لم يفعل ما تقوله - بالسجن والصغار (ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين)[1]

ولكن يوسف عليه السلام مع وجود هذه الاسباب جميعها صبر عن فعل تلك المعصية واختار ما أعده الله للصابرين المخلصين المتقين وليس ما أعده الظالمون لانفسهم من لذات وشهوات عاقبتها وخيمة وعقابها شديد . . وقال تعالى (وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربى أحسن مثواى انه لا يفلح الظالمون)[2].

---

(١) سورة يوسف (٣٢)

(٢) سورة يوسف (٢٣)

قصة يوسف هذه تكشف لنا عن ضعف الانسان فى حال وقوته فى حال آخر فالانسان ضعيف اذا استسلم لهواه واعطى زمامه لنفسه الامارة بالسوء ، وهو قوى قوى اذا رجع الى أحكام دينه وسلطان عقله واستمع الى وحى ضميره وعرف قدر انسانيته واستشعر انه خليفة الله فى الارض وانه انما خلق ليسود ويحكم ، وانه لن يسود ويحكم اذا كان عبدا لاهوائه وليا لشهواته ، وانه يسود ويحكم اذا حكم أهواءه واستعلى على دواعى شهواته .[1]

نعم وانه لكذلك فمرضى النفوس ان تركوا انفسهم على أهوائها واستحلوا كل منكر وقبيح غير مبالين بصوت الدين والضمير مثل هؤلاء شرع لهم الاسلام عقوبة اليمة مخزية (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين)[2]

وتكفى هذه العقوبة ـ المخجلة الفاضحة ـ عبرة لغيرهم ممن يحادثون أنفسهم بالزنا . . كى يصبروا عنه ويتقوا ربهم ويخشوا عذابه المتضاعف يوم القيامة (ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا)[3] واذا ما صبر المرء عن هذه المعصية ربما اعتبر من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم القيامة يقول صلى الله عليه وسلم (سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله أمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ورجل قلبه

---

(١) قصتا آدم ويوسف عليهما السلام لعبد الكريم الخطيب ص ١٤٠

(٢) سورة النور (٢)

(٣) سورة الفرقان (٦٨ : ٦٩)

معلق فى المساجد ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال أنى أخاف الله)[1]

٥٥

النوع الثالث ـ الصبر على البلاء

خلق المولى عز وجل الحياة الدنيا على طبيعة متغيرة متقلبة فيها الحزن والمسرة . . فيها الصحة والمرض . فيها المحبوب والمكروه . وقد يكون مقدرا على بعض الناس صنوفا من الابتلاء فليس امامه الا الصبر والتسليم ، الصبر على ما قدر له والتسليم والرضا بقضاء الله . . وذلك هو الطريق الصحيح لاجتياز الامتحان الاكبر . . وهو الحياة ، ولكن الانسان يدهش للمصاب ويتبرم بالالام ويجزع للمصائب واذا صدمته صدمة أو نزلت به كارثة فزع وجزع وضاقت عليه الارض بما رحبت ان الانسان خلق هلوعا . اذا مسه الشر جزوعا)[2] (خلق الانسان من عجل)[3] فالمرء مثلا قد يولد وبه عاهة من العاهات أو يحدث له

---

(١) صحيح البخارى كتاب الزكاة باب الصدقة باليمين وفتح البارى جـ ٣ ص ٢٣٢ وصحيح مسلم كتاب الزكاة باب فضل اخفاء الصدقة جـ ٧ ص ١٢٠ ، مسند أحمد جـ ٢ ص ٤٣٩ ، النسائى كتاب القضاة باب الامام العادل جـ ٨ ص ١٩٦ .

(٢) المعارج (٢٩ ، ٢٠)

(٣) سورة الانبياء (٣٧)

حادث فيصاب فيه بكسر أو حروق أو جروح أو ارتجاج ينتج عنه فقده لبصره - أغلى مايملك - فيكون أمامه اما ان يشفى أو يبتلى بما يكره وفى كلا الامرين يحتاج الى الصبر والاحتمال ، فاذا فعل ذلك ورضى بما قسم له الله وقدره عليه يكون جزاؤه كما بينه المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث يقول (ان الله تعالى قال : اذا ابتليت عبدى بحبيبته فصبر عوضته منهما الجنة)[1]

والصبر مطلوب أيضا اذا كان الضر والاذى أو الموت سيلحق بأحب الاشخاص للانسان وهو ولده . . فعن أنس بن مالك (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى على امرأة تبكى على صبى لها فقال لها : اتقى الله واصبرى ، فقالت وما تبالى بمصيبتى فلما ذهب قيل لها انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذها مثل الموت فأتت بابه فلم تجد على بابه بوابين ، فقالت : يارسول الله لم أعرفك فقال : انما الصبر عند أول صدمة أو عند أول الصدمة)[2]

ولئن فقد الانسان ولده أو زوجته أو والده أو أخيه أو صديقه أو أخته من يربطه بهم رابطة وثيقة متينة كالنسب أو الرحم أو الصداقة فليس أمامه

---

(١) صحيح البخارى كتاب المرضى باب فضل من ذهب بصره وانظر فتح البارى جـ ١٠ ص ١٠ حيث يقول : المراد بحبيبتيه المحبوبتان لانهما أحب أعضاء الانسان اليه لما يحصل له بفقدهما من الاسف على فوات الرؤية لما يريد من خير فيسر به أو من شر فيجتنبه . ورواه الترمذى كتاب الزهد باب ماجاء فى ذهاب البصر جـ ٤ ص ٢٩ .

(٢) رواه البخارى فى كتاب الجنائز باب زيارة القبور وانظر فتح البارى جـ٣ ص١٤٨ ومسلم كتاب الجنائز باب الصبر على المصيبة عند الصدمة الاولى جـ٦ ص٢٢٧

الا الصبر ، وما عليه الا الاسترجاع تسليما ورضى بقضاء الله وبقدرة - يقول صلى الله عليه وسلم (ان الله لا يرضى لعبده المؤمن اذا ذهب بصفيه من أهل الارض فصبر واحتسب - وقال ما أمر به - بثواب دون الجنة)[1] .

نعم ان هذا الثواب العظيم يكون لمن صبر عند الصدمة الاولى بقلبه ولسانه واعيا ان المرء مهما عاش لابد أن يرجع الى ربه ولابد أن يترك هذه الدنيا الفانية .

ولئن صبر عن فقد الاشخاص ذوى الارواح الطيبة فأولى به من صبر على فقد ماله أو متاعه أو عقاره بضياع أو بحريق أو بغيره ذلك أن تلك الاشياء ما هى الا متاع الحياة الدنيا (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا)[2] .

ومن ثم فالبلاء سواء كان نفسيا أو بدنيا لم ينج منه أشرف البشر وهم الانبياء .. بل هم أشد الناس ابتلاء فعن مصعب بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه قال (قلت يارسول الله أى الناس أشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى العبد على حسب دينه فان كان فى دينه صلبا اشتد بلاؤه) .

ومن هنا نعلم أن البلاء لا يدل على شقاء الانسان .. فالسعادة والشقاء فى هذه الدنيا لا يترتبان على الاعمال الصالحة أو السيئة والدنيا ليست دار جزاء

---

(١) سورة الكهف ٤٦

(٢) ابن ماجة كتاب الفتن باب الصبر على البلاء ج ٢ ص ١٣٣٤

وانما هي دار ابتلاء . . وأيوب عليه السلام لما امتحن بمرض في جسده[١] وامتحن بفقد أهله وأمواله صبر وشكر فكان أن رحمه الله فأعاد له صحته وعافيته وأعطاه اضعاف مافقد من أموال وأولاد[٢] رحمة به على صبره وثباته وانابته وتواضعه (وذكرى للعابدين) أي قدوة وتذكرة للعابدين ليثبتوا على عباداتهم وليصبروا كما صبر أيوب حتى يثابوا كما أثيب في الدنيا والاخرة . . وذكرى لاولي الالباب أيضا ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرج والمخرج والراحة . . وليكون لهم أيوب اماما للعقلاء وقدوة لاهل الصبر والبلاء وسلوة من الكروب للاصفياء . .

واذا امتدحه المولى عز وجل بقوله (انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب)[٣] فوصل اسمه باسمه حبا له وقربا منه ووصفه بالصبر فاظهر مكانته في القوة والعزيمة[٤] . . فمعنى ذلك أنه نموذج للعبد القدوة الصالح الصابر

---

(١) لم يكن المرض مرضا منفرا ظهر على البشرة وانما كان على ماهو الظاهر في العظام وفي المفاصل وأما ما يرويه الوضاعون والقصاص من انتشار القروح بجسمه فهو كذب واختلاق . . وأغلب الظن أن هذا من الاسرائيليات والخرافات الباطلة التي أفتراها اليهود على أنبياء الله ورسله .

(٢) روى ابن كثير عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد والحسن وقتادة : ان المولى عز وجل رد على أيوب ماله وولده معيانا ومثلهم معهم جـ ٣ ص ١٨٩ . وقال سيد قطب في الظلال : ليس في نص الايات ما يحتم انه أحيا له من مات ، وقد يكون معناه انه بعودته الى الصحة والعافية قد استرد أهله الذين كانوا بالنسبة اليه كالمفقودين . . وانه رزقه بغيرهم زيادة في الانعام والرحمة والرعاية جـ ٢٣ ص ١٠٢ .

(٣) سورة ص (٤٤)

(٤) قوت القلوب جـ ١ ص ٢٠٢

الذى لا يضيق صدره بالبلاء والذى يستحق أن يضرب به المثل على مر العصور كيف لا ؟ وقد قال فيه رب العزة : نعم العبد - أشرف وصف للانسان - ثم قال فيه : أنه أواب [(١)] أى رجاع لله منيب اليه فى كل الامور .

ومن ثم فالمرء لا يدرك الحكمة من تكاثر المصائب والبليات عليه فقد يكون فيها الخير له حيث تعاف نفسه متع الدنيا شيئا فشيئا فلا يعود ينخدع بها أو يركن اليها أو تستهويه ورب ضارة نافعة ورب محنة فى طيها منح ورحمات يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم (من يرد الله به خيرا يصب منه) [(٢)] ويقول أيضا (ان عظم الجزاء من عظم البلاء وان الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط) [(٣)]

ولهذا كله ولمعرفة الدعاة الى الله بأهمية سلاح الصبر وانه السيف البتار للباطل وانه الضياء - للحديث الشريف - والصبر ضياء - الذى ينير لهم طريق دعوتهم . . اتخذ الدعاة الى الله الصبر صديقا ورفيقا يخفف عنهم ما يواجهونه من متاعب وآلام ومن أذى واتهامات عظام يقابلهم بها الناس المعرضين عن الحق ولهذا وصى لقمان الحكيم ابنه بالصبر على ما يستقبله من

---

(١) أواب : الى طاعة الله مقبل والى رضاه رجاع تفسير الطبرى ج ٢٣ ص ١٠٩

(٢) رواه البخارى كتاب المرضى باب ما جاء فى كفارة المرض وانظر فتح البارى ج ١٠ ص ٩٤ حيث يقول فى معنى يصب منه : أى يبتليه بالمصائب ليثيبه عليها .

(٣) الترمذى فى كتاب الزهد باب الصبر على البلاء ج ٤ ص ٢٧ ، وابن ماجة فى كتاب الفتن باب الصبر على البلاء ج ٢ ص ١٣٣٨ .

بلاء وأذى واضطهاد . . بعد أن وصاه بالامر بالمعروف حيث قال له (يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور)[١] .

ولكم تحمل نوح عليه السلام من قومه من البلاء والاذى ما تحمل ولكن ذلك لم يمنعه من مواصلة الدعوة ولم يفقده صبره فظل يدعوهم شتى الطرق وقد بين ذلك فى مناجاته لربه (رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا . ثم انى دعوتهم جهارا . ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا . فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا)[٢] ولكن ذلك لم يثمر ولم يجد . . بل كانوا يتهمونه بما ليس فيه فيصبر (وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين)[٣] (ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين)[٤] وكان يرشدهم بالحسنة فيقابلوه بالسيئة ويتحمل . وظل يدعوهم ألف سنة الا خمسين عاما تارة بالانذار والتبشير وتارة بالسر والعلن وتارة أخرى بالليل والنهار وبذل ما فى وسعه ليقنعهم بدعوته وصبر على مالقيه منهم من الاتهام والاذى والبلاء .

وابراهيم عليه السلام لما لم يجد من قومه آذانا صاغية لدعوته بل وجد اعراضا وعداوة وهجرا لم يصده ذلك عن قصده ولم يدخل الوهن الى قلبه بل أقام دليلا حسيا لقومه على بطلان عبادة الاصنام (فجعلهم جذاذا الا كبيرا

---

(١) سورة لقمان (١٧)　　(٢) سورة نوح (٥ : ١٠)
(٣) سورة هود (٢٧)　　(٤) سورة المؤمنين (٢٥)

لهم لعلهم اليه يرجعون)[١] وعرف القوم أن الفاعل ابراهيم عليه السلام وانتقاما لا ‌هلهتهم المزعومة وخوفا من افتضاح حالهم لضياع حجتهم اصدروا حكمهم عليه بالموت حرقا (قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين)[٢]

ولكن ابراهيم لم يجزع ولم يصب بانهيار يفقده وعيه بل وقف أمام الجمع المتجمع من قومه صابرا مطمئنا الى مصيره تغمره الثقة بالله . . فانجاه الله من كيدهم وحر نارهم قال تعالى (قلنا يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم)[٣] .

ولما أمر المولى عز وجل خاتم رسله صلى الله عليه وسلم بالصبر قال (واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا)[٤] وبين له ما حدث لاخوانه الانبياء من قبل فقال (لقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا..)[٥] وحكى على لسانهم ردا على العصاة المؤذين من أقوامهم (ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون)[٦] .

وايذاء المشركين للانبياء واتباعهم من المؤمنين لا يقف عند حد الايذاء في الانفس والاموال بل قد يتعدى الامر الى طردهم من بلادهم التي نشأوا عليها

---

(١) سورة الانبياء (٥٨)
(٢) سورة الانبياء (٦٨)
(٣) " " (٧٠)
(٤) سورة المزمل (١٠)
(٥) سورة الانعام (٣٤)
(٦) سورة ابراهيم (١٢)

وترعرعوا فيها كما حدث لشعيب عليه السلام وغيره من الانبياء قال تعالى :
(قال الملأ الذين استكبروا من قومه : لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا) (١)

لذا يهيئ سبحانه المؤمنين لاستقبال ما سينالهم من الاذى والبلاء من أهل الكتاب والمشركين آمرا اياهم بالصفح والصبر والعفو حتى يأتي فرج الله . . قال تعالى (لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور) (٢) .

وقد وضح أيضا ما أعده للصابرين على اقداره من جزاء حسن فقال . . . :
(ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) (٣)

وصلوات الله ورحمته وشهادته بأنهم هم المهتدون . . وهذه والله مكافأة ما كانت لتخطر على بال . . وجزاء يهون عند تحصيله كل ألم ويذوب كل شعور بابتلاء . . وهو جزاء عظيم تتضاءل أمامه التضحية بالانفس والاموال والثمرات ويهون الخوف والجوع والشدة . . ولو تأملنا الاية نرى أن لطف الله موجود حتى في ابتلائه فجعل البلاء (بشيء من الخوف) و (شيء) منكر لبيان قلته وحقارته فربما لو كان أكبر ما كانوا يستطيعونه .

---

(١) سورة الاعراف (٨٨)   (٢) سورة آل عمران (١٨٦)
(٣) سورة البقرة (١٥٥-١٥٧)

ولما كانت دعوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم دعوة شاملة عامة لكل الناس.. دعوة أتت لتغيير عقائدهم وتقاليدهم ونظمهم ،كان أعداؤها أكثر وكانت حاجة مؤسسها الى الصبر أكبر لذا نرى أن أوامر الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر كثيرة :

١ - فمرة يصبره على اذى المشركين ويدعوه ليقتدى ببعض الانبياء فيقول له جل وعلا (اصبر على مايقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد[1] انه أواب)[2]

٢ - ومرة يصبره على أذاهم ويصرفه عن ذلك الاذى والبلاء بطلب التوجه اليه وأمره له بتسبيحه .. وذلك أن التسبيح وذكر الله ينسى المرء آلامه ويوسع لصدره فيقول تعالى (فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك)[3] (فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ..)[4]

٣ - ومرة يأمره بالصبر لحكم ربه وقضائه وبلائه[5].. ويثبته على صبره ويبين له أنه معه فى كل خطوة وفى قوله تعالى (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت)[6] (واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم)[7]

---

(١) يقول الطبرى : ذا الايد : ذا القوة والبطش الشديد فى ذات الله والصبر على طاعته ج ٢٣ ص ٨٦ ، ويروى ابن كثير عن ابن عباس الايد : القوة وعن قتادة أعطى داود قوة فى العبادة وفقها فى الاسلام ج ٤ ص ٢٩ .

(٢) سورة ص (١٧)

(٣) سورة ق (٢٩)

(٤) سورة طه (١٣٠)

(٥) ابن كثير ج ٤ ص ٢٤٥ ، ٤٠٨

(٦) سورة القلم (٤٨)

(٧) سورة الطور (٤٨)

ويرى الفخر الرازى : ان معنى (واصبر لحكم ربك) أما ان يكون فى تأخير الاذن فى القتال - الذى كان يتعجله بعض اصحابه - أو يكون المعنى عاما فى جميع التكاليف أى فاصبر فى كل ما حكم به ربك سواء كان ذلك تكليفا خاصا بك من العبادات والطاعات أو متعلقا بالغير وهو التبليغ وأداء الرسالة وتحمل المشاق الناشئة من ذلك.[1]

فكأنه يقصد ان الحكم فى الاية هو الحكم الشرعى التكليفى دون الكونى القدرى وان كان المتبادر هنا أكثر هو الحكم القدرى لارتباط الصبر فى الذهن بما قضاه الله من بلايا .

٤ - ومرة أخرى يحبب له الصبر على بلائه وعلى ما يجده من مشقة فى تبليغ دعوته أو من أذى الكفار[2] حاشا له على أن يكون صبره لله وحده لا لشىء آخر غير وجه الله تبارك وتعالى فقال (ولربك فاصبر)[3] أى اجعل صبرك لله تعالى لا للدنيا ولا للسمعة ولا لطلب الثناء . .

ولا شك أن أفضل أنواع الصبر - وان كان جميعها واجبا - الصبر على طاعة الله سبحانه وتعالى والقيام بواجب العبودية له خاصة وانه جل وعلا قد صرح بذلك فى قوله تعالى (رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا)[4]

---

(١) التفسير الكبير للرازى جـ ٣٠ ص ٢٥٧ ، ٢٥٨
(٢) الكشاف جـ ٤ ص ١٨١
(٣) سورة المدثر (٧)
(٤) سورة مريم (٦٥)

والاصطبار أعلى مرتبة فى الصبر وقرنت هنا بالعبودية والعبودية لا تعنى تأدية الشعائر فقط .. وإنما هى أن يستشعر المرء أنه يتعبد الله فى كل صغيرة وكبيرة فى كل حركة ونية وفى ذلك مشقة تحتاج الى اصطبار .. مشقة لها لذة لا يعرفها الا من تذوقها وأحس بعبوديته للمبكل اخلاص وصدق ، يقول الغزالى فى هذا المعنى (والصبر على الطاعة شديد لان النفس بطبعها تنفر من العبودية ..) وقال أيضا (فان العبودية شاقة على النفس مطلقا ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالحج والجهاد فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد)(١)

وأما ابن عباس رضى الله عنه فيرى غير ذلك حيث يقول : الصبر فى القرآن على ثلاثة أوجه : صبر على أداء الفرائض لله تعالى وصبر عن محارم الله تعالى وصبر فى المصيبة عند الصدمة الاولى فمن صبر على أداء فرائض الله تعالى فله ثلاثمائة درجة ومن صبر على محارم الله فله ستمائة درجة ومن صبر فى المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعمائة درجة. يقول صاحب قوت القلوب : ولم يفضل ابن عباس الصبر على المصيبة لانه أفضل من الصبر عن المحارم وعلى الفرائض بل لان الصبر على دينك من أحوال المسلمين والصبر على المصيبة من مقامات اليقين وانما فضل المقام فى اليقين على مقام الاسلام .(٢)

---

(١) احياء علوم الدين ج ٤ ص ٦٨

(٢) قوت القلوب ج ١ ص ١٩٨

وأما ابن القيم فيؤيد ما أخترته من كون الصبر على الطاعة هو الافضل والاعلى مرتبة عند الله ويعارض ما مال اليه ابن عباس حيث قال : فان هذا الصبر - أى على البلاء - يأتى به البر والفاجر والمؤمن والكافر فلابد لكل أحد من الصبر على القدر اختيارا أو اضطرارا .[١]

ويقول ابن القيم أيضا فى كتابه المدارج : ان الصبر على طاعته والصبر عن معصيته أكمل من الصبر على اقداره - كما فى صبر يوسف - فان الصبر فيهما صبر اختيار وايثار ومحبة . والصبر على احكامه الكونية : صبر ضرورة . وكذلك كان صبر نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام على ما نالهم فى الله باختيارهم وفعلهم ومقاومتهم قومهم : أكمل من صبر أيوب على ما ناله فى الله من ابتلائه وامتحانه بما ليس مسببا عن فعله . وكذلك كان صبر اسماعيل الذبيح وصبر ابيه ابراهيم عليهما السلام على تنفيذ أمر الله أكمل من صبر يعقوب على فقد يوسف عليهما السلام .[٢]

-.-

(١) عدة الصابرين ص ٢٦

(٢) مدارج السالكين ص ١٦٩ جـ ٢

الفصل الثانى

الأسباب التى تعين على الصبر

- الإيمان بقدر الله وقضائه
- معرفة الإنسان بطبيعة الحياة الدنيا
- معرفة الإنسان نفسه
- اليقين بفرج الله
- الاستعانة بالله
- الاقتداء بالأنبياء
- اليقين بالجزاء الحسن للصابرين

((الفصل الثانى))

الاسباب التي تعين على الصبر

لما كانت للصبر مشقة وصعوبة على النفس ارشدنا ابن القيم لدواء يعين عليه : فالصبر وان كان شاقا كريها على النفوس فتحصيله ممكن وهو يتركب من مفردين : العلم والعمل فمنهما تركب جميع الادوية التي تداوى بهما القلوب والابدان فلابد من جزء علمى وجزء عملى فمنهما يركب هذا الدواء الذى هو أنفع الادوية ، فأما الجزء العلمى فهو ادراك مافى المأمور من الخير والنفع واللذة والكمال ، وادراك مافى المحظور من الشر والضر والنقص ، فاذا أدرك .. هذين العلمين كماينبغى أضاف اليهما العزيمة الصادقة والهمة العالية والنخوة والمروءة الانسانية وضم هذا الجزء الى هذا الجزء فمتى فعل ذلك حصل له الصبر وهانت عليه مشاقه وحلت له مراراته وانقلب ألمه لذة.[1] وهناك بعض الاسباب التى تعين عليه :

١ـ الايمان بقدر الله وقضائه :

مما يعين المرء ـ خاصة المؤمن ـ على الصبر ايمانه بقدر الله وانه واقع لا محالة فى ذلك .. وان ماأصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه .. وما دامت نكبات الدهر وحوادث الايام لا دخل للانسان فيها وما دام مؤمنا بأن مقادير الله نافذة سواء رضى بها المرء أم أبى وسواء صبر أم جزع كان

---

(١) عدة الصابرين ص ١٤٠ ، ٤٢

لذلك أثر فى نفس المؤمن حيث يخفف وقعة المصيبة عليه . يقول تعالى (ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) (١)

أى ما وقع من مصيبة فى الارض كالجدب ولا فى النفوس كالمرض والعاهة والموت الا وذلك مقدر مكتوب فى اللوح مثبت فى علم الله من قبل أن يخلق الله الخلق وهو انما أثبت ذلك لتكون النفوس أكثر ثباتا وأرحب صدرا فى استقبال الاحداث فلا تحزن على ما فاتها من نعم الدنيا حزنا يزعزعها ولا تفرح بهبات الله فرحا يذهلها . . واذا ما علمت أن الكل مقدر هانت عليها المصائب مهما كانت . (٢)

أما من يجزع ويتبرم ويبالغ فى الشكوى فلن ينفعه ذلك ولن يغير من المكتوب عليه شيئا ولن يرد له ما فات ولا يحيى له من مات . . وفى خطاب الله جل وعلا لرسوله صلى الله عليه وسلم هذا المعنى فبعد أن أمره بالاقتداء بالانبياء فى الصبر على ايذاء المشركين قال له (وان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الارض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين) (٣) أى عليك أن تصبر صبر الانبياء قبلك وان شق عليك وعظم اعراضهم عن الاسلام واستطعت أن تجد منفذا تنفذ فيه الى ما تحت الارض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها أو تجد مصعدا تصعد به الى

---

(١) الحديد ٢٢ ، ٢٣

(٢) تفسير البيضاوى ص ٦٨٣

(٣) سورة الانعام (٣٥)

السماء فتنزل لهم آية تقنعهم فافعل مابدا لك وانك لا تستطيع ذلك فاصبر على اعراضهم وأذيتهم فهذه مشيئته جلا وعلا ولو شاء لوفقهم للايمان (ولا تكونن من الجاهلين) فتجزع حيث يكون الصبر واجبا وأنت تعلم بأن ذلك كله مقدر مكتوب .(١)

٢- معرفة الانسان بطبيعة الحياة الدنيا :

لا شك أن من عرف أن هذه الحياة ليست دار نعيم ولا دار خلود بل هي دار ابتلاء .. دار اعداد لدار البقاء من عرف ذلك وأدرك أن الحياة ليست طريقا مفروشا بالزهور والرياحين لم يفاجأ بكوارثها ولم يدهش لاحداثها ،نعم ان المولى عز وجل خلق هذه الحياة الدنيا على طبيعة متقلبة طبيعة امتزجت فيها الاشياء المحبوبة بالمكروهة والمؤلمة بالمفرحة فقلمانجد فيهاصحة لا ينغصها مرض أو لذة لا يخالطها ألم أو فرحا لا يكدره حزن أو اجتماعا لا يكدره فراق أو نجد الراحة والامان منفردين غير ممتزجين بالتعب والخوف أونرى عزا لا يقارنه ذل أو غنى لا يعقبه فقر ...هذه هي طبيعة الدنيا أشار اليها القرآن الكريم بقوله (ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس) .(٢)

فمن أدركها ووعاها على حقيقتها هان عليه أمرها ولم يصعب عليه ما تأتي به من مصائبها ،يقول ابن القيم في بيان علاج حر المصيبة وحزنها :

---

(١) تفسير النسفي ج ٢ ص ١٠ ، تفسير البيضاوي ص ٢٠٢
(٢) سورة آل عمران (١٣٩)

ومن علاجه أن يطفئ نار مصيبته ببرد التأس بأهل المصائب وليعلم أنه في كل واد بنو سعد ولينظر يمنة فهل يرى الا محنة ثم ليعطف يسرة فهل يرى الا حسرة وأنه لوفتش العالم لم ير فيهم الا مبتلى أما بوفاة محبوب أو حصول مكروه وأن سرور الدنيا أحلام نوم أو كظل زائل ان أضحكت قليلا أبكت كثيرا ، وان سرت يوما ساءت دهرا وان متعت قليلا منعت طويلا وما ملأت دار خيرة الا ملأتها غبرة ، ولا سرته بيوم سرور الا خبأت له [1] يوم شر . وما أجمل ما ذكره الشاعر في وصف الدنيا :

ومن يحمد الدنيا لشيء يسره   فسوف لعمرى عن قليل يلومها
اذ أدبرت كانت على المرء حسرة   وان أقبلت كانت كثيرا همومها [2]

ومن ثم يكفينا زهدا في الدنيا وتحمل آلامها ما ضربه الله لنا مثلا لها (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط) [3]

٣- معرفة الانسان نفسه :

وأقصد بذلك أنه لابد وان يدرك انه ملك لله عز وجل فهو الذي أوجده من العدم ومنحه الحياة والحركة والشعور وأعطاه السمع والبصر والفؤاد وأسبغ عليه نعمة الجمة الكثيرة من مال وأهل وولد وعشيرة وغيره . . يؤكد هذه الحقيقة قوله تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) [4] فاذا استرد المالك

---

(١) زاد المعاد لابن القيم ج ٣ ص ١٤٨
(٢) جواهر الادب للهاشمي ج ٢ ص ٤٨٣
(٣) سورة الكهف (٤٥)
(٤) سورة النحل (٥٣)

العظيم ود يمتهما بال الانسان يسخط ويحزن ويتألم . . وما باله لا يقول ـ مخلصا ـ كما علمه الله (انا لله وانا اليه راجعون) اذا نزلت به مصيبة أو حلت بـه كارثـة ؟

وما الذى يمنع من اقتدائه بالسلف الصالح ففى صحيح البخارى عـن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : اشتكى ابن لابى طلحة . . فمات وأبو طلحة خارج فلما رأت امرأته انه قد مات هيأت شيئا و نحتـه فى جانب البيت ،فلما جاء أبو طلحة قال كيف الغلام قالت قد هدأت نفسه وأرجو أن يكون قد استراح وظن أبو طلحة انها صادقة قال : فبات فلما أصبح اغتسل فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات فصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم أخبر النبى صلى اللـه عليه وسلم بما كان منهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل الله أن يبارك لكما فى ليلتكما) قال سفيان بن عيينه فقال رجل من الانصار فرأيت لهـا تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن .[1]

فحينما أرادت أم سليم زوجة أبى طلحة ـ أن تخبره بموت ابنه أخبرتـه بأسلوب هادىء مقنع كى يتجلد ويصبر عسى الله أن يعوضهما عنه خيرا فجاء فى صحيح مسلم انها قالت : يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم ؟ قال : لا قالت : فاحتسب ابنك)[2]

---

(١) صحيح البخارى كتاب الجنائز باب من لم يظهر حزنه عند المصيبة وفـى فتح البارى جـ ٣ ص ١٣٦

(٢) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أم سليم جـ ١٦ ص ١٢

فشاهدنا من القصة ما جاء على لسانها رضي الله عنها ان الابنـــاء عارية من الله يمنحها لمن يشاء من عباده ويستردها متى شاء ،فالايمان بهـذه الحقيقة .. وبهذا المعنى يساعد على الصبر ويعين المصاب على تحمل ألـم الكارثة ما دام يعلم أن صاحب الوديعة له أن يسترد حاجته متى ما شاء.

٤- اليقين بفرج الله :

ومما يعين المرء على الصبر : يقينه بأن فرج الله قريب ونصره آت لا شك فيه وان بعد الضيق الفرج وان بعد العسر يسرا وان بعد الشدة الرخاء .. يؤكد هذا اليقين قوله تعالى (سيجعل الله بعد عسر يسرا)[1] وأحيانـــا مقرونا به (فان مع العسر يسرا . ان مع العسر يسرا)[2]

مثل هذا اليقين كفيل بمعاونة المرء على صبره .. كفيل باشاعة الامل فـي نفسه .. ومن ثم يؤكد وعد الله وتحققه فالله لا يخلف الميعاد . قال تعالـى (فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك)[3] ومحال على الله أن يخلف وعـده مادام قد ذكر أنه حق ومادام قد أكد أنه لا يضيع أجر المحسنين كما قال جـل شأنه (انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين)[4] .

---

(١) سورة الطلاق (٦)
(٢) سورة الانشراح (٥، ٦)
(٣) سورة غافر (٥٤)
(٤) يوسف (٩٠)

أى يعوضهم فى الدنيا خيرا عدا ما يخبئه لهم فى الاخرة .. والامثلة على تعويض الصابرين - الموقنين بفرج الله - خيرا كثيرا معروفة : منها ما عرفناه من قصة أيوب عليه السلام حين أيقن بفرج الله ورضى بما وقع له .. انتهى به صبره الى أحسن النتائج والعواقب .

ومنها ما حصل لام سلمة رضى الله عنها حين توجهت بكليتها الى خالقها وأملت منه الفرج بالخير لها ولايتامها فكان أن أخلف لها الله عن زوجها رسوله صلى الله عليه وسلم فعنها رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد تصيبة مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم أجرنى فى مصيبتى وأخلف لى خيرا منها الا أجره الله فى مصيبته واخلف له خيرا منها قالت فلما توفى أبو سلمة قلت كما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخلف الله لى خيرا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم.(١)

ومنها ماوقع ليوسف عليه السلام من حوادث عظام صبر عليها موقنا برحمة الله فكان نصره جل وعلا له بتمكينه فى الارض . قال تعالى (وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوأ منها حيث يشاء)(٢) ويرد أهله اليه .

٥- الاستعانة بالله :

ومما يساعد الصابر على تجرع مرارة الصبر معرفته بأن الله مع الصابرين واصبروا ان الله مع الصابرين فاذا صبر فهو فى حمى الله ورعايته هو تحت عناية

(١) صحيح مسلم كتاب الجنائز باب مايقال عند المصيبة جـ ٦ ص ٢٢١
(٢) سورة يوسف (٥٦)

الله وملاحظته ,ومن كان كذلك لن يظلم ولن يهان ولن يخاف . . بل عليه أن يصبر ويتحمل المشاق والمتاعب . . هذا وقد أرشد موسى عليه السلام قومه الى الاستعانة بالله حينما هددهم فرعون بأن يقتل ابناءهم ويستحيي نساءهم . . فقال لهم كما قال الله (استعينوا بالله واصبروا)[1] فينبغى على المرء اذا حلت به نكبة أو أصابته مصيبة أن يتوجه الى خالقه ويستعين به ويدعوه فلعله يصادف ساعة اجابة أو يتعرض لنفحة من نفحات الله ورحماته .

٦- الاقتداء بالانبياء :

فالنظر فى حياة الانبياء واتباعهم الصالحين وصبرهم على ما أصابهم من مشاق ومتاعب وأذى ومصائب . . يعين على الصبر . . فلقد لاقى الانبياء ما لاقوه من الابتلاء والاذى ولكنهم صبروا وتحملوا (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى أتاهم نصرنا)[2]

لذا نجد القرآن - المكي خاصة - يورد لنا قصص الانبياء فى بداية الدعوة وذلك تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الاجلاء وتثبيتا لقلوبهم لمواجهة الصعاب والاذى من المشركين . يقول تعالى (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم)[3] يقول تعالى (أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده)[4] يقول تعالى (واذكر عبدنا أيوب . . . انا وجدناه صابرا)[5]

(١) الاعراف ١٢٨ (٢) الانعام (٣٤)
(٣) الاحقاف (٣٥) (٤) الانعام (٩٠)
(٥) ص (٤٤)

ويقول أيضا دافعا المؤمنين للاقتداء بمن سبقهم في صبرهم (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء..)[١]

٧- اليقين بالجزاء الحسن للصابرين :

وهو خير ما يعين المرء على صبره يقول أبوطالب المكي : وأصل قلة الصبر ضعف اليقين بحسن جزاء من صبرت له لانه لو قوى يقينه كان الاجل من الوعد عاجلا اذا كان الواعد صادقا فيحسن صبره .[٢]

ولما كان بيان الجزاء دافعا لاتقان أي عمل من الاعمال . . . وكان رب العزة عالما بنفوس خلقه فقد أشار الى حسن جزاء الصابرين فمرة تحدث عن ذلك الاجر بأسلوب المدح فقال (نعم أجر العاملين الذين صبروا . . .)[٣] ومرة أخرى بين أن ذلك الاجر أحسن من أعمالهم . قال تعالى (ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) .[٤]

ومرة أشار الى أهم شيء في ذلك الاجر وهو تزكيته جل وعلا ولطفه واحسانه وشهادته للصابرين بانهم مهتدون (وبشر الصابرين . الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون .أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون)[٥]

---

(١) البقرة (٢١٣) (٢) قوت القلوب جـ ١ ص ١٩٩
(٣) العنكبوت (٥٨، ٥٩)
(٤) النحل (٩٦)
(٥) البقرة (١٥٥ : ١٥٧)

وأخيرا صرح للصابرين بحقيقة أجرهم وعظمته فقال عز شأنه (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) (١)

واذا تيقن الانسان بحسن الجزاء وعظم أجر الصبر عند الله هان عليه وقع المصيبة على القلب وخفت مرارتها على النفس وكلما كان اليقين بحسن جزاء الله فى النفس قويا كلما ضعف شعورنا بألم المصيبة .. نسأل الله أن يجعلنا من الصابرين وأن يرزقنا من اليقين ما يهون به علينا مصائب الدنيا .

--•--

---

(١) الزمر (١٠)

الفصل الثالث

الأمور المضادة للصبر

- الاستعجال
- الغضب
- الشكوى
- الحزن والغيظ
- اليأس

((الفصل الثالث))

الأمور المضادة للصبر

ينبغى لمن أراد أن يكون صابرا الاخذ بالاسباب المعينة عليه والبعد عن الامور المضادة له المعوقة عن التحلى به والتى منها :

١- الاستعجال :

ويشير القرآن الكريم اليه وكأن فى لهجته الذم (خلق الانسان من عجل)[١] فالمرء وان طبع على حب العجلة فى أموره جميعها عليه الا ينقاد لطبيعته تلك بل يعى أن الله فى خلقه سننا لا تتبدل ، وان لكل شىء أجلا مسمى ولكل عمل جزاء حسنا والثمر لا تنضج الا عندما يحين أوان نضوجها .. وهيهات أن ينضجها استعجال الانسان .

يقول ابن القيم مفسرا قوله تعالى (ان الانسان خلق هلوعا)[٢] واذا أردت معرفة الهلوع فهو الذى اذا أصابه الجوع مثلا أظهر الاستجاعة وأسرع بها واذا أصابه الالم أسرع الشكاية واظهرها . واذا بدا له مأخذ طمع طار اليه سريعا واذا ظفر به أحله من نفسه محل الروح فلا احتمال ولا افضال وهذا كله من صغر النفس ودناءتها .[٣]

---

(١) الانبياء (٣٧)
(٢) المعارج (١٩)
(٣) عدة الصابرين ص ٢٢٥

ولهذا حث المولى عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم على الصبر فقال (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم)[١] أى لا تستعجل لكفار قريش بالعذاب فانه نازل بهم لا محالة فى ذلك ..[٢] ومن ثم فالمشركون لجهلهم يستعجلون عذاب الله غرورا بانفسهم وعنادا له صلى الله عليه وسلم فيأتيهم الجواب (ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتيهم بغتة وهم لا يشعرون)[٣] أى ولولا أجل مسمى هو يوم القيامة أو يوم بدر أو وقت فنائهم بآجالهم ، والمعنى ولولا أجل قد سماه الله وبينه فى اللوح لعذبهم والحكمة تقتضى تأخيره الى ذلك الاجل المسمى لجاءهم العذاب عاجلا وليأتينهم فجأة وهم لا يشعرون بوقت مجيئه .[٤]

فالاستعجال على ذلك ليس من صفات المؤمنين .. وهو أيضا ليس من صفات العاقلين الصابرين ، يقول ابن القيم فى العجلة : ولهذا كانت العجلة من الشيطان فانها خفة وطيش وحدة فى العبد .[٥]

٢- الغضب :

وهو أيضا من الامور المنافية للصبر المضادة له ولما كان الصبر عدة قوية فى يد المصلح والداعية الى الله فعليه ألا يغضب من المعرضين عنه مهما حاولوا أن يستفزوه بالسخرية منه أو الاستهزاء به أو اطلاق اللسان بسبه أو اصابته

---

(١) الاحقاف (٣٥)
(٢) البيضاوى ص ٦٤٦
(٣) العنكبوت (٥٣)
(٤) النسفى ج ٣ ص ١٦١
(٥) الروح لابن القيم ص ٢٥٨

بأذى أو ما شابه ذلك عليه أن يصبر على من يدعوهم ويعاود الدعوة مرة بعد مرة عليه أن يكظم غضبه وألا ييأس من رحمة الله فى هدايتهم ولا يفعل كما فعل يونس عليه السلام حيث ضاق من قومه وتركهم غاضبا منهم دون أن يستأذن الله فى ذلك وتلك الفعلة ما كان لنبى أن يفعلها لاول بادرة سوء يصادفها من قومه أو اعراض عنه وكان لابد من درس يتلقاه النبى من ربه وهو أن يخرج من ضيق الى ضيق أشد وأقسى وهو جوف الحوت قال تعالى (فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون)[1] ولكن رحمة الله أخرجته الى اليابسة وعاد الى المدينة التى فارقها ليعاود الدعوة الى الله وهو أشد يقينا وأرحب نفسا فكان أن وفقه الله .[2]

ولهذا يحذر المولى عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من الاستجابة لداعى الغضب وذلك فى قوله تعالى (واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت)[3] فيدعوه ليصبر لحكم ربه ويتحمل الاذى لتبليغ رسالته ولا يندفع وراء انفعالاته بل يصبر وينتظر نصر ربه وفرج خالقه .

٣- الشكـوى :

مما يقدح فى الصبر ويخرج المرء عن مقام الصابرين التسخط والجزع الشديد ومظاهره بفعل أمور لا ينبغى أن يفعلها المؤمن من شق الجيوب ولطم الخدود . يقول صلى الله عليه وسلم (ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب

---

(١) سورة الصافات (١٤٣)
(٢) مع الانبياء ص ٣١٠ (٣) القلم (٤٨)

ودعا بدعوى الجاهلية)[(١)]

أى من ينخلع قلبه للمصيبة ويجزع فلا يعرف الثبات والشجاعة فى ملاقاة المحن بل يلطم الخدود ويدق الصدور ويشق الجيوب ويدعو بدعوى الجاهلية فيقول وا أبتاه .. وأقرباه .. وامصيبتاه .. ويقول كلما يعترض بها على القدر وينقد قضاءه .. من كان كذلك فليس من المسلمين ، انما المسلم الثابت الرزين الصابر المحتسب الذى لا يدفعه الحزن الى التسخط .[(٢)]

واذا اشتكى العبد ربه الى مخلوق مثله فقد شكى من يرحمه الى من لا يرحمه أما ان شكى الى الله تعالى أمره لم يكن ذلك شكوى بل استعطاف وتملق واسترحام له[(٣)] كقول أيوب (رب انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين)[(٤)] وقول يعقوب عليه السلام (انما اشكو بثى وحزنى الى الله)[(٥)]

يقول ابن القيم : وأما اخبار المخلوق بالحال فان كان للاستعانة بارشاده أو معاونته والتوصل الى زوال ضرورة لم يقدح ذلك فى الصبر كاخبار المريض للطبيب بشكايته ، واخبار المظلوم لمن ينتصر به بحاله واخبار المبتلى ببلائه لمن يرجو أن يكون فرجه على يديه .[(٦)]

---

(١) رواه البخارى كتاب الجنائز باب ليس منا من لطم الخدود - وانظر فتح الباري جـ ٣ ص ١٣٢

(٢) الادب النبوى ص ٢٢ (٣) الروح لابن القيم ص ٢٥٩

(٤) سورة الانبياء (٨٣) (٥) سورة يوسف (٨٦)

(٦) عدة الصابرين ص ٢٣٢

٤- الحزن والضيق :

قد يبلغ الحزن بالانسان مبلغا يجعله يقنط من الفرج ، وقد يصل به الضيق لعدم تحقق الامر الذى يريد الى درجة عالية تنسيه تلك الحقيقة وهى : ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . . ومهما يجد المرء منا يذاء القوم له وعدم اقتناعهم بالفكرة التى يدعوهم اليها . . عليه أن يصبر وهذا ما وجه اليه القرآن الكريم رسول هذه الامة (واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون)(١)

ولحرصه صلى الله عليه وسلم على هداية أمته وارشادها الى الطريق المستقيم بلغ الضيق والحزن به من اعراض القوم وتعنتهم مبلغا جعل المولى عز وجل يخاطبه بلهجة حاسمة فيقول له (لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين)(٢) (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون)(٣) وقوله تعالى (فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا)(٤)

٥- اليأس :

لا شك أن كل عامل مهما كان عمله يرجو أن تتحقق آماله وتنجح مقاصده فالزارع الذى يدفع نفسه الى تحمل مشقة الزرع وسقيه وتعهده لابد وأن يؤمل حصادا طيبا ، ولابد له من الصبر حتى يتحقق أمله أما اذا غلب عليه اليأس ،

---

(١) النحل (١٢٧) (٢) الشعراء (٣)
(٣) سورة فاطر (٨) (٤) سورة الكهف (٦)

وتضاءل شعاع الامل لم يكن له يصبر على استمرار العمل في الارض أو زرعها . . ومثله طالب العلم فلابد له من الصبر على درسه والاستهانة بالصعاب مهما كانت ولابد له أن يؤمل النجاح ويضعه نصب عينيه واذا فشل ـ لا سمح الله ـ فعليه ألا ييأس من رحمة الله وليفتش عن أسباب فشله ليتفاداها .

ولقد حرص القرآن الكريم على ابعاد اليأس عن المؤمنين وبذر الامل في نفوسهم فجاء قوله تعالى (ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين . ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس)[1] وقال تعالى حاكيا لما قاله يعقوب عليه السلام لبنيه (يابني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيئسوا من روح الله أنه لا ييئس من روح الله الا القوم الكافرون)[2]

ولما كان الامل معينا على الصبر كان اليأس من أعظم الموانع عن الصبر .

---

(١) سورة آل عمران (١٣٩)
(٢) سورة يوسف (٨٧)

الفصل الرابع

تداخل حقيقة الصبر بحقيقة الشكر

((الفصل الرابع))

تداخل حقيقة الصبر بالشكر

نعم ، ان الانسان قد يبتلى بالضراء كما يبتلى بالسراء وبالغنى كما يبتلى بالفقر وبالصحة كما يبتلى بالمرض وهذا وغيره امتحان من الله سبحانه وتعالى فهو القائل(فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن)[1] وقال تعالى " ونبلوكم بالشر والخير فتنة . . . .)[2]

فاذا اختبره بالغنى واليسر والتوسعة فى النعمة اعتقد أنه استحق ذلك الاكرام ،واذا امتحنه بضيق الرزق ظن أن الله أهانه وعاقبه .[3] وهو فى كلا الامرين مخطئ فى ظنه واعتقاده فبسط الرزق أو قبضه ابتلاء من الله عز وجل ليظهر منه الشكر على النعمة أو البطر فيها ، ويظهر منه الصبر على المحنة أو الضجر منها فان شكر نعمة الله بأن صرفها فى وجوه الخير وصرفها بعقل وحكمة فقد صبر .

ومن صبر على بلاء الله وحمد الله واسترجعه فقد شكر فكل من الصبر والشكر داخل فى حقيقة الاخر . فالشكر هو العمل بطاعة الله وترك معصيته والصبر أصل

---

(١) سورة الفجر (١٦ ، ١٧) (٢) سورة الانبياء (٣٥)
(٣) ابن كثير جـ ٤ ص ٥٠٩

ذلك ، والصبر على الطاعة وعن المعصية هو عين الشكر ، واذا كان الصبر مأمورا به فأداؤه هو الشكر . . اذن هما اسمان لمعنيين متغايرين غير أن الواحد منهما لا يمكن أن يستغنى عن صاحبه أو يفضل عليه ولكن أبا طالب المكى يقول فى تفضيله الصبر على الشكر : الصبر حال البلاء ، والشكر حال النعمة ، والبلاء أفضل لانه على النفس أشق لقوله تعالى (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)[١] فالشاكر يوفى اجره بحساب لان (انما) تحقيق للوصف ونفى ماعداه[٢] ويقول أيضا : واعلم أن الشكر داخل فى الصبر والصبر جامع للشكر لان من صبر أن لا يعصى الله بنعمة فقد شكرها ومن اطاع الله فصبر نفسه على طاعته فقد شكر نعمته.[٣]

ويرى الغزالى أنه يمكن القول بأن الصبر الذى يفهمه عامة الناس أفضل من الشكر الذى يفهموه . . وان كان قد فصل فى تفضيل أحدهما على الاخر وبالعكس فمرة يقول : قد بينا ان الصبر قد يكون على الطاعة وعن المعصية وفيهما يتحد الصبر والشكر لان الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة . . . والنعمة اما أن تقع ضرورية كالعينين مثلا واما أن تقع فى محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال ، أما العينان فصبر الاعمى عنهما بأن لا يظهر الشكوى ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ولا يترخص بسبب العمى فى بعض المعاصى وشكر البصير عليهما من حيث العمل بأمرين : أحدهما أن لا يستعين بهما على معصية ، والاخر أن يستعملهما فى الطاعة وكل أحد من الامرين لا يخلو عن الصبر فان الاعمى كفى الصبر عن الصور الجميلة لانه لا يراها والبصير اذا وقع بصره على جميل فصبر

---

(١) سورة الزمر (١٠) (٢) قوت القلوب جـ ١ ص ٢٠٠

(٣) قوت القلوب جـ ١ ص ٢٠١

كان شاكرا لنعمة العينين . . فقد دخل الصبر فى شكره وكذا اذا استعان بالعينين على الطاعة فلابد أيضا فيه من صبر على الطاعة ، ثم قد يشكرها بالنظر الى عجائب صنع الله تعالى ليتوصل به الى معرفة الله سبحانه وتعالى فيكون هذا الشكر أفضل من الصبر .(١)

ويقول الغزالى أيضا فى موضع آخر :

وأما اذا كان شكره بأن لا يستعين به على معصية بل يصرفه الى التنعم المباح فالصبر ههنا أفضل من الشكر .(٢)

ولكننا لا نستطيع أن نفضل الصبر على الشكر أو بالعكس بل نستطيع القول بأن الحالة التى يكون فيها المرء اتقى لله هى الافضل ، رغم أن الحالتين لا يستغنى عنهما المرء .

أيد هذا ابن قيم الجوزية بقوله حينما سئل عن أيهما افضل صبر الفقير اذا تم أم شكر الغنى اذا تم : أتقاهما لله فى وظيفته ومقتضى حاله . ولا يصح التفضيل بغير هذا البتة ، فان الغنى قد يكون اتقى لله فى شكره من الفقير فى صبره . وقد يكون الفقير اتقى لله فى صبره من الغنى فى شكره . فلا يصح أن يقال هذا بغناه أفضل ولا هذا بفقره أفضل . ولا يصح أن يقال هذا بالشكر أفضل من

---

(١) احياء علوم الدين جـ ٤ ص ١٣٦

(٢) احيا علوم الدين جـ ٤ ص ١٣٧

هذا بالصبر ولا بالعكس لانهما مطيتان للايمان لا بد منهما بل الواجب أن يقال أقومهما بالواجب والمندوب هو الافضل .[1]

ويذكر ابن القيم تداخل الصبر بالشكر مبينا عدم استغناء أى فرد مسلم عنهما فيقول :

الصبر والشكر حالتان لازمتان للعبد فى أمر الرب ونهيه وقضائه وقدره لا يستغنى عنهما طرفة عين ، والسؤال عن أيهما أفضل كالسؤال عن الحس والحركة أيهما أفضل ، وعن الطعام والشراب أيهما أفضل ، وعن خوف العبد ورجائه أيهما أفضل فالمأمور لا يؤدى الا بصبر وشكر ، والمحظور لا يترك الا بصبر وشكر . وأما المقدور الذى يقدر على العبد من المصائب فمتى صبر عليه اندرج شكره فى صبره كما يندرج صبر الشاكر فى شكره[2] والله أعلم .

---

(١) عدة الصابرين ص ١٢٦

(٢) عدة الصابرين ص ١٢٥

الخاتمة

الخاتمــة

بعد هذا البحث الطويل الذى طوفت بسببه فى بعض المراجع والكتب يمكننى اجمال نتائجه فيما يأتى :

أولا : ان فضيلة الصبر من أعظم الفضائل الاسلامية والاخلاق المثالية التى لابد منها ليعيش المسلمون راضين فى هذه الحياة .

ثانيا : عناية القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بفضيلة الصبر دليل واضح على وجوب تحلى المسلمين به وتربيتهم على ممارسته خلقا وسلوكا .

ثالثا : الصبر من الاخلاق الفاضلة المقرونة بالتقوى فى أكثر من موضع ولما كانت التقوى ارفع مقامات الدين كان الصبر أيضا من أرفع أخلاق المؤمنين .

رابعا : ان الصبر أنواع وليس نوعا واحدا كما يفهمه عامة الناس ، وهذه الانواع واجبة لانها مرتبطة بطاعة الله والبعد عن معصيته والرضا بقضائه .

خامسا : معرفة المسلم لاقسام الصبر تجعله يبتعد عن المكروه والمحظور منها .

سادسا : ان الصبر على البلاء لا يقل عن الشكر على النعم .

سابعا : ان المؤمن محتاج الى الصبر عن ملاذ الدنيا - بقدر الامكان -

فلا يطلق نفسه للجرى وراء شهواتها من النساء والبنين والاموال والانعام والحرث قال تعالى (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب)[1] فانه ـ أى المؤمن ـ ان لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون الى الملاذ والانهماك فيها أخرجه ذلك الى البطر والطغيان

ثامنا : ان مقادير الله نافذة ، والعاقل من يصبر ويرضى لحكم الله حتى لا يحرم جزاء الصبر ، والا انتهى به الامر الى الصبر الاضطرارى الذى ليس له قيمة خلقية ولا دينية .

تاسعا : ان خيرات الدنيا والاخرة مرتبة على فضيلة الصبر ، فبلوغ المقصد فى الدنيا ونيل المراد فى الاخرة والفوز بالجنة والنجاة من النار وكل ما يحرص عليه الفرد والمجتمع منوط بالصبر .

ه ه ه

وأحمده سبحانه وتعالى أولا وآخرا حمدا يوافى نعمه ويكافىء مزيده . وأسأله أن يعيذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا وأن يختم بالصالحات أعمالنا.

وأصلى وأسلم على خير المخلوقين وقدوة الصابرين وامام المتقين وخاتم النبيين سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه وأتباعه الى يوم الدين آمين .

سيدة/ح

=:=

---

(١) سورة آل عمران (١٤)

فهرس المصادر والمراجع

(أ)

فهرس المراجع والمصادر

١ القرآن الكريم .

(حرف الالف)

٢ أحكام القرآن
لابي بكر محمد بن عبد الله (ابن العربي) دار الفكر بيروت - الطبعة الثالثة .

٣ احياء علوم الدين
للامام ابن حامد محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ - دار احياء الكتب العربية - مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر .

٤ الادب النبوى
لمحمد عبد العزيز الخولي - المكتبة التجارية الكبرى بمصر- الطبعة السادسة .

٥ الاعلام
لخير الدين الزركلي - بيروت١٣٨٩هـ الطبعة الثالثة

٦ أنبياء الله
لاحمد بهجت - مطابع الشروق - بيروت - الطبعة الرابعة

(حرف الباء)

٧ بلال مؤذن الرسول
تأليف عبد الحميد جودة السحار - دار مصر للطباعة سعيد جودة السحار وشركاه .

(حرف التاء)

٨ تفسير ابن كثير
لابن الفداء اسماعيل بن كثير القرشي - دار احياء الكتب العربية .

(ب)

٩ تفسير النسفى
لابى البركات عبد الله بن أحمد النسفى- دار الكتاب العربى - بيروت .

١٠ تفسير البيضاوى
المسمى بتفسير القرآن الكريم - لناصر الدين عبد الله البيضاوى- مكتبة الجمهورية العربية بمصر - مجلد واحد .

١١ التفسير الكبير
لابى عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشى المعروف بفخر الدين الرازى- المطبعة البهية المصرية بميدان الازهر بمصر .

١٢ تهذيب الاخلاق
لابى على أحمد بن محمد المعروف (بابن مسكويه) مطبعة محمد على صبيح بمصر - ١٣٧٨هـ.

١٣ تاج العروس
لمحى الدين أبى الفيض السيد مرتضى الحسينى- دار الحياة بيروت- لبنان .

١٤ التكلمة والذيل والصلة
للحسن محمد بن الحسن الصنعانى- دار الكتب القاهرة ١٩٧٠م .

(حرف الجيم)

١٥ جامع البيان فى تفسير القرآن
لابى جعفر محمد بن جرير الطبرى- دار المعرفة - بيروت الطبعة الثانية.

١٦ الجامع لاحكام القرآن
لابى عبد الله محمد بن أحمد القرطبى- دار الشعب القاهرة

(ج)

١٧ جواهر الادب
لاحمد الهاشمي - المكتبة التجارية الكبرى - الطبعة السادسة والعشرون ١٣٨٥هـ.

١٨ الجامع الصغير في أحاديث البشير
للامام جلال الدين السيوطي - مطبعة البابي الحلبي بمصر الطبعة الرابعة

(حرف الحاء)

١٩ حلية الاولياء
للحافظ أبي نعيم احمد الاصبهاني - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الثانية.

(حرف الخاء)

٢٠ خلق المسلم
لمحمد الغزالي - دار الكتب الحديثة - عابدين بمصر الطبعة الثامنة .

(حرف الراء)

٢١ رياض الصالحين
لابي زكريا يحيى بن شرف النووي - دار الكتاب العربي - بيروت .

٢٢ الروح
لابن قيم الجوزية - دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٥ هـ

٢٣ روح المعاني
لابي الفضل شهاب الدين محمود الالوسي - ادارة الطباعة المنيرية .

(ر)

٢٤ رجال حول الرسول
خالد محمد خالد - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٧٣م .

٢٥ الروض المربع
لمنصور بن يونس البهوتي المصري - مكتبة السيد المؤيد الحسيني للطباعة والنشر - الطائف ١٣٨٩هـ

(حرف الزاء)

٢٦ زاد المعاد في هدى خير العباد
لمحمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .

(حرف السين)

٢٧ سنن أبي داود
لابي داود سليمان بن الاشعث السجستاني - مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر - الطبعة الاولى .

٢٨ سنن الترمذى
لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذى - دار الفكر - بيروت - الطبعة الثالثة .

٢٩ سنن النسائي
لابي عبد الرحمن بن شعيب النسائي - مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر - الطبعة الاولى .

٣٠ سنن ابن ماجه
طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه .

(هـ)

(حرف الصـاد)

٣١ صحيح مسلم بشرح النووى
لیحیی بن شرف النووی ـ دار الفکر ـ بیروت الطبعة الثانية

٣٢ صفحات من صبر العلماء
لعبد الفتاح أبوغدة ـ مكتب المطبوعات الاسلامية الطبعة الثانية .

(حرف العين)

٣٣ عون المعبود ـ شرح سنن أبى داود
لابى الطيب محمد شمس الحق ـ الناشر المكتبة السلفيـة بالمدينة المنورة ـ الطبعة الثانية .

٣٤ عدة الصابريـن
لابن قيم الجوزية ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت

(حرف الفاء)

٣٥ فى ظلال القرآن
لسيد قطب ـ الطبعة السادسة

٣٦ فتح البارى شرح صحيح البخارى
لشهاب الدين ابن حجر العسقلانى ـ دار المعرفـة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ الطبعة الثانية .

(حرف القاف)

٣٧ القاموس المحيـط
مجد الدين محمد الفيروزابادى ـ دار الفكر ـ بيروت .

(و)

٣٨ قوت القلـــــوب
لابى طالب محمد بن على المكى - المطبعة الميمنية بمصر ١٣٠٦هـ .

٣٩ قصتا آدم ويوسف عليهما السلام
لعبد الكريم الخطيب - دار الفكر العربى - بيروت .

(حرف الكاف)

٤٠ الكشاف عن حقائق التنزيل
لابى القاسم جار الله محمود الزمخشرى - انتشـــارات آفتاب تهران .

٤١ كتاب الكبائـــــر
لشمس الدين محمد أحمد الذهبى - دار احياء التراث العربى - بيروت .

(حرف اللام)

٤٢ لسان العرب المحيطة
لابن منظور - دار لسان العرب - بيروت - المجلد الثانى

(حرف الميم)

٤٣ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم
لمحمد فؤاد عبد الباقى - دار احياء التراث العربى بيروت

٤٤ المعجم المفهرس لالفاظ الحديث
رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين - مكتبة بريل فى مدينة ليدن سنة ١٩٧١م

٤٥ مفتاح كنوز السنة
للدكتور أ . ى . فنسنك - مطبعة كتول آرث بريس - لاهور ١٣٩١هـ .

٤٦ مسند أحمد
للامام أحمد بن حنبل - المكتب الاسلامي - دار صادر بيروت .

٤٧ مدارج السالكين
لابن قيم الجوزية ، دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ .

٤٨ مع الانبياء
لعفيف عبد الفتاح طبارة - دار العلم للملايين - بيروت الطبعة الرابعة .

٤٩ منهاج المسلم
لابي بكر جابر الجزائري - دار الفكر - بيروت - الطبعة الثامنة .

٥٠ المعاملات المادية والادبية
لعلي فكري - مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر - الطبعة الاولى .

٥١ المدخل لدراسة القرآن الكريم
محمد محمد أبو شهبة - الطبعة الثانية

٥٢ مجلة الوعي الاسلامي (العدد ١٣٩ - غرة رجب ١٣٩٦هـ)
وزارة العدل والاوقاف والشئون الاسلامية - الكويت .

(حرف النون)

٥٣ نيل الاوطار شرح منتقى الاخبار
لمحمد بن علي الشوكاني - مطبعة مصطفى البابي الحلبي الطبعة الاخيرة .

(ح)

(حرف الواو)

٥٤ وفيات الاعيـــــان
لابي العباس شمس الدين احمد بن خلكان - دار صادر بيروت - المجلد السادس - تحقيق الدكتور احسان عباس .

--

فهرس الموضوعات

الفهـــــرس

الباب الرابع
أنواع الصبر

...